



حبٌّ وحرْمان

الجزء الأول

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف.. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا، والربيع إلى كهولتنا، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفي هذا الزمن الذي طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ لقاء الأصدقاء ..

بدا (عزت الوسيمى) مستغرقًا فى قراءة بعض الأوراق المهمة التى وضعت فوق مكتبه بفيلته الأنيقة .

عندما دخل عليه خادمه ليخبره بحضور أحد الزائرين قائلاً :

ـ الأستاذ (صلاح) هنا يا سيدى .

لم يبد (عزت) شيئًا من الاكتراث .. واستمر فى مراجعة الأوراق التى بين يديه قائلاً له :

ـ دعه يدخل .

وبعد لحظات قليلة ، دخل مدير أعماله ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح التوتر والاضطراب .

بينما رفع (عزت) عينيه عن الأوراق التى يراجعها وهو ينظر إليه قائلاً :

ـ ماذا بك ؟

قال له مدير أعماله وهو يخرج منديله ليجفف بـه عرقه :

ـ لدىّ أخبار سيئة يا (عزت بك) .

بدا على وجهه الانزعاج وهو يسأله قائلاً :

ـ ماذا حدث ؟

ـ لقـد رفضـت الشـركة الألمـانية استلام شـحنة الخضراوات والفاكهة التى قامت شركتنـا بتصديرها إليهم .

هب (عزت) واقفًا وهو يقول بانفعال :

ـ ماذا ؟ رفضت الشحنة .. كيف ؟

ـ إنهم يقولـون إنهـا غيـر مطابقـة للمواصـفات التى تـم الاتفـاق عليهـا فى العقـد الـذى أبرمـوه معنـا .

غـادر (عـزت) مكتبـه متجهًا نحو مدير أعمـاله ـ الذى نهض بدوره ـ قائلاً له بحدة .

ـ ما هذا الهراء الذى يقولـونه ؟! لقد راعينا كـل المواصفات التى حددوها لنا .

كمـا أن أحد مندوبيهم اطلـع بنفسـه علـى بعـض عينات من الخضر والفاكهة قبل شحنهما على السفن .

قال له مدير أعماله بصوت مضطرب :

ـ إنهـم يقولـون إن هنـاك خطـأ فـى التخـزين أدى إلى إفساد الشحنة .. والعقد صريح : أى خطأ يؤدى إلـى وجـود عطـب فـى أى كميـة ، ولـو بسيطة مـن الشحنة يؤدى إلى إلغائها فقط .

شحب وجهه وهو يقول :

ـ وماذا عن مصاريف الشحن والتكلفـة الباهظـة التى تحملناها ؟

ـ العقد ينص أيضًا على أننا نتحمل كل التكلفة فى حالة عدم مطابقة الشحنة للمواصفات .

قال (عزت) منفعلاً :

ـ العقد .. العقد .. هل ستظل تردد علىَ هذه الكلمة دون أن تقدم لى حلاً لهذه المشكلة ؟

قال له مدير أعماله بصوت خفيض :

ـ لقد قلت لك منذ البداية يا (عزت بك) إن شروط هذا العقد قاسية ومجحفة للغاية بالنسبة لنا .. وإنه يتعين علينا ألا نوافق عليها .

تهالك (عزت) فوق أحد المقاعد قائلاً :

ـ لم يكن لدينا وسيلة لرفضه أو قبوله .. فأنت تعرف الظروف التى نمر بها .. وهذا العقد الذى أبرمناه مع المؤسسة الألمانية ، كان هو وسيلتنا الوحيدة للخروج من الأزمة الخانقة .. بعد خسارة البورصة التى أطاحت بنصف ميزانية الشركة تقريبًا .

وها هى ذى تلك الشحنة تضيف إلى تلك الميزانية المزيد من الخسائر .

قال له مدير أعماله مطأطئ الرأس :

ـ آسف لأننى قد حملت لك أنباء سيئة .

ـ وأى سوء .. بهذه الطريقة فإننى على وشك الإفلاس تقريبًا .

وصمت برهة وقد ارتسمت ملامح الحزن على وجهه .. لكنه لم يلبث أن استرد رباطة جأشه ، وقد استعاد صوته صلابته وهو يقول له :

ـ لابد من محاسبة المسئول عن التخزين حسابًا عسيرًا .. فهو المسئول عن هذه الخسارة .

أومأ الرجل برأسه قائلاً :

ـ أمرك يا (عزت بك) .

وسادت بينهما برهة من الصمت الثقيل قال له (عزت) بعدها .

ـ انصرف أنت الآن .

سأله مدير أعماله قائلاً :

ـ هل تأمر بأى شىء آخر ؟

لكنه لم يرد عليه وظل صامتًا ، وهو يحدق فى الجدار المواجه له . فلم يلبث أن نهض متجهًا نحو الباب فى طريقه للانصراف .

لكنه استوقفه قائلاً :

ـ متى ستعود الشحنة إلى الإسكندرية ؟

ـ بعد خمسة أيام تقريبًا .

ـ لا أريد أن يعلم أحد بالأمر قبل عودتها .

هم الرجل بأن يقول شيئًا .. لكنه تراجع عن ذلك قائلاً :

ـ حسن .. كما تريد يا (عزت بك) .

وفى الحقيقة فإنه لم يستطع أن يخبره بأن التلكس الذى حمل نبأ رفض الشحنة .. قد اطلع عليه بعض موظفى الشركة .. ولم يعد الأمر سرًا .. خاصة أن مثل هذه الأخبار يسهل سريانها بسهولة .

لكنه لم يرد أن يضيف إلى الرجل مزيدًا من المضايقات .. فالتزم بالصمت .. وما لبث أن غادر المكان .

بينما أخذ (عزت) يذرع الغرفة جيئة وذهابًا ، وقد ارتسمت ملامح التجهم على وجهه قائلاً لنفسه :

ـ ماذا أفعل ؟ أولاً ـ البورصة .. وثانيًا ـ هذه الشحنة .. إن الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ .. والشركة مهددة بالإفلاس ومن يدرى ؟ ربما إذا استمر الحال على هذا المنوال .. ثم توقف عن الاستطراد فى هذا التفكير قائلاً :

ـ كلا .. لن أسمح بهذا .. لابد من تجاوز هذه الأزمة المالية الخانقة .. يجب أن أجد لى مخرجًا من هذا التدهور .

وعقد يديه خلف ظهره وهو مستمر فى ذرع الغرفة جيئة وذهابًا .. واسترسل قائلاً :

ـ إننى بحاجة إلى أربعة ملايين من الجنيهات .. فقط أربعة ملايين لكى يتاح لى إنقاذ الشركة .

لقد أسس جده هذه الشركة التى كانت صغيرة فى بدايتها .. ولم يمض وقت قليل حتى أصبحت شركة تجارية كبيرة .

وواصل أبوه تنمية الشركة بعده لتستمر فى نجاحها .. غير أنه لم يستطع أن يقفز بأعماله التجارية والمالية قفزات كبيرة كتلك التى استطاع أن يقفزها .. لتحقيق أرباح ومكاسب طائلة جعلته من رجال الأعمال المرموقين فى الإسكندرية ، برغم أن عمره لم يتجاوز الثانية والأربعين .

لكن يبدو أن بعض هذه القفزات كانت أوسع مما يجب . وأنه كان متهورًا فى اندفاعه نحو تحقيق المزيد من المكاسب ، على نحو يكاد أن يفقد معه كل ما حققه من قبل .

مرت ساعة بذل فيها (عزت) جهدًا فكريًا هائلاً ، وهو يحاول العثور على وسيلة للتغلب على الموقف .

وفكر فى الحصول على قرض من البنك لتغطية المبلغ المطلوب ، أو جزء منه .. لكنه أحس بأن ذلك قد يسىء إلى مركزه المالى .. ويضعف الثقة فى نشاطه التجارى .

وأخيرًا قرر أن يرجئ التفكير فى الأمر إلى الغد ، واتجه إلى حجرة نومه ، محاولاً الحصول على قسط من النوم .

وبرغم الأزمة الخانقة التى تعترضه ، إلا أنه تمكن من النوم بالفعل ، فقد تدرب على أن يكون صلبًا فى مواجهة الأزمات .. ولديه القدرة على التحكم فى مشاعره مهما كانت صعوبة المواقف التى تجابهه .

وفى اليوم التالى توجه إلى شركته .. ليمارس عمله بصورة طبيعية وعلى النحو المعتاد .

حينما أخبرته سكرتيرته .. بأن صديقًا له يرغب فى مقابلته وهو الدكتور (رءوف) .

فأسرع لاستقباله لدى باب حجرته وقد انفرجت أساريره ، وهو يرحب به قائلاً :

ـ دكتور (رءوف) .. أهلاً بك .. متى عدت من (لندن) ؟

صافحه (رءوف) بحرارة قائلاً :

ـ يا أخى .. أعطنى فرصة لكى أستريح أولاً .. ثم أطلب لى شيئًا لأشربه .. وبعدها اسأل عما تريده كما شئت .

وألقى بنفسه فوق أحد المقاعد ، فى حين طلب (عزت) من سكرتيرته إحضار عصير لضيفه .

لكنه قال له :

ـ كلا .. أريد فنجانًا من القهوة المضبوطة .

وبعد أن طلب (عزت) من السكرتيرة إحضار ما طلبه الدكتور (رءوف) ؛ جلس بجواره قائلاً :

ـ والآن ألن تخبرنى متى عدت من (لندن) ؟

ـ منذ يومين فقط .. وهأنذا قد جئت لزيارتك فى اليوم الثالث . لتعرف أنك الصديق الأقرب لدى .. ولو أنك لا تستحق . ثلاث سنوات أقضيها فى لندن .. ولا أتلقى منك خلالها سوى اتصالين هاتفيين .. وخطاب واحد فقط .. برغم أن لديك أكثر من هاتف دولى .. وعددًا من أجهزة الفاكس ومندوبين لشركتك .

قال (عزت) معتذرًا :

ـ أعرف أننى مقصر فى حقك .. ولكن أعذرنى فظروف عملى ومشاغلى تلتهم كل وقتى .

ـ وهل مازالت تشغلك عن التفكير فى الزواج أيضًا ؟

ابتسم (عزت) قائلاً :

ـ أنت تعرف أننى قد تزوجت العمل .

ـ دعك من هذا ؟ لقد تخطيت الأربعين .. ولاينقصك أى شىء لتجعل من الزواج أحد مشروعاتك .

ـ حتى الآن لم أجد فى كل من قابلتهن من تستحق أن تكون زوجة لرجل أعمال ناجح يحب عمله .. بحيث تتقبل منافسة هذا العمل لارتباطه العائلى .. وتقتنع بأن يشاركها حياته . حتى لو ادعيت غير ذلك .

ـ بالطبع .. من هى تلك التى تقبل أن يشاركها عمل زوجها فى حياتها معه ، ست عشرة ساعة فى اليوم تقريبًا ؟ والثمانى ساعات الباقية لينام فيها .

ضحك (عزت) قائلاً :

ـ من يسمعك تتحدث هكذا لايقول إنك عزب مثلى .. برغم أنك تقاربنى فى العمر .. وأن الطب لايلتهم معظم وقتك أنت الآخر .

قال له (رءوف) معترضًا ، وهو يحرك أصبعًا به دبلة الزواج أمام عينيه .

ـ لا ياصديقى .. يبدو أنك لم تعد قوى الملاحظة على

النحو الذى كنت عليه من قبل .. لقد أصبحت الآن زوجًا .. وتخليت عن عضويتى فى نادى العزوبية .

نظر (عزت) إلى دبلة الزواج فى أصبع صديقه بدهشة قائلاً :

ـ يبدو هذا حقيقيًّا .. متى فعلتها ؟

ـ منذ سنة تقريبًا .

ـ لكن .. كيف لم أعرف ؟

ـ لو كنت حريصًا على متابعة أخبار صديقك لعرفت .

ـ ألف مبروك يا (رءوف) .

ـ ولو أنها متأخرة إلا أننى سأتقبل تهنئتك .. وإن كان هذا لن يعفيك من دعوة خاصة لى وللعروس ، احتفالاً بانضمامى إلى نادى المتزوجين .

ـ إننى مستعد لإقامة احتفال خاص بهذه المناسبة فى الوقت الذى تحدده .. ويمكنك أن تعتبرها دعوة مفتوحة .

لكن قل لى .. هل العروس مصرية أم إنجليزية ؟

ابتسم (د. رعوف) قائلاً :

ـ بل سورية .. إنها ابنة طبيب سورى كبير مقيم فى انجلترا .. وقد تعرفتها فى أثناء زيارتى له فى منزله ..

ـ المهم .. هل أنت سعيد فى حياتك معها ؟

قال (رعوف) بلهجة جادة تنم عن عاطفة قوية تجاه زوجته :

ـ إن سعادتى معها لاتوصف .. فقد ملأت على حياتى .. وأضفت عليها مشاعر جميلة كنت أفتقدها .

إنها الصورة التى تمنيتها دائمًا فى خيالى للمرأة التى أتمنى الارتباط بها .

ضحك (عزت) قائلاً :

ـ ماكل هذا .. إنك بذلك تغرينى بالتفكير فى الزواج بدورى .. مادام الزواج قد حولك من طبيب إلى شاعر على هذا النحو .

ـ ربما أننى أحاول إغراءك بالفكرة بالفعل .

ـ لكنى لست مستعدًا لأن أتحول من رجل أعمال إلى شاعر .

دعك من هذا الآن .. وقل لى هل تنوى الاستقرار فى مصر .. أم ستعود إلى انجلترا ؟

ـ كلا .. إننى أنوى البقاء فى مصر .. فأنا لست ممن تستهويهم الغربة .

ثم استطرد قائلاً :

ـ وأنت ما أخبارك ؟

ابتسم (عزت) قائلاً :

ـ إننى على مايرام .. كما ترى .

ـ لقد أصبحت من رجال الأعمال المرموقين .

قال (عزت) بكبرياء ينطوى على قدر من الدعابة :

ـ إننى هكذا دائمًا .. أنت تعرف أن هذا أمر موروث فى أسرتنا .

ـ حسن .. يسعدنى أن أسمع منك هذا .. ولكن مازلت أرى أنه ينقصك أن تكون بجوارك زوجة .. زوجة

جميلة .. ومخلصة .. ومن عائلة .. يكتمل بها نجاح حياتك .

ابتسم (عزت) قائلاً :

- هل ستعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى ؟

ابتسم (رءوف) بدوره قائلاً :

- ولم لا ؟

- ألديك عروس لى ؟

قال له (رءوف) بجدية :

- نعم .. لدى الزوجة المناسبة التى تحتاج إليها .

نظر إليه (عزت) بدهشة قائلاً :

- يبدو أنك تأخذ الأمر بجدية .

- إننى جاد تمامًا فيما أقوله .

- حسن .. ومن هى تلك العروس التى ترشحها لى ؟

- إننى أرى أنك ربما تكون مشغولاً ببعض الأعمال المهمة .. وربما أكون قد عطلتك عن عملك .

قال (عزت) وهو يغادر مقعده متجهًا إلى مكتبه :

- فى الحقيقة أن لدى بالفعل بعض الأعمال المهمة التي يتعين على إنجازها ، لكنها لن تستغرق منى وقتًا طويلاً .. لذا يمكنك أن تنتظرنى لبعض الوقت .. وبعدها يمكننا أن نتحدث معًا .. ولكن فى أية أمور أخرى غير الزواج .. فأنا أفتقد أحاديثنا القديمة معًا ..

نهض (رءوف) بدوره قائلاً :

- وأنا أيضًا لدى بعض الارتباطات .. سأنهيها .. ثم أمر عليك بعد ساعة .. لنذهب إلى أحد الأماكن الهادئة .. نتناول الغداء ونتحدث معًا .. اتفقنا ؟

ابتسم (عزت) قائلاً :

- اتفقنا .

* * *

٢ـ الخروج من المأزق ..

عندما تقابلا لتناول الغداء .. عاد دكتور (رءوف) لطرح موضوع الزواج مرة أخرى على (عزت) قائلاً :

ـ أنت تعرف أننى أنتمى إلى عائلة من تلك العائلات العريقة فى الصعيد ، التى مازالت تتمسك بالتقاليد القديمة التى لم تغيرها كثيرًا مظاهر الثراء والتمدين ومؤثرات العصر .

كما تعرف أيضًا أننى كنت شديد الارتباط بأحد أعمامى على وجه الخصوص ؛ لاحتضانه ورعايته لى بعد وفاة والدى .

ابتسم (عزت) قائلاً :

ـ تقصد الحاج (وهدان) .

ابتسم (رءوف) ثم مالبث أن تحولت ابتسامته إلى مسحة من الحزن قائلاً :

ـ يسعدنى أنك مازلت تتذكره .. لكنه قد توفى على أية حال فى أثناء سفرى لانجلترا .

قال (عزت) مواسيًا :

ـ يؤسفنى أن أسمع منك ذلك .. ولكن لماذا لم تخبرنى بالأمر حتى يمكننى أن أشارك فى واجب العزاء ؟

ـ أنا نفسى لم أتمكن من القيام بهذا الواجب .. فقد منعتنى ظروفى وقتها من ذلك .

ـ أرجو أن تتقبل تعازىّ .

ـ لابد أنك مازلت تذكر أيضًا أننى كنت مرشحًا للارتباط بابنته (سماح) .. أعنى ابنة عمى .. وأن الأسرة كانت مصممة على هذا الارتباط .

ـ نعم .. وأذكر أيضًا أنك كنت معارضًا لهذا الأمر بشدة كما ذكرت لى .

ـ لقد اضطررت فى النهاية لإعلان موافقتى المبدئية على هذا الأمر ، إزاء إصرار العائلة وإلحاح عمى وظروف مرضه الأخيرة .

وقد أخبرنى وقتها وهو على فراش المرض ، أن ابنته لن تكون زوجة لأحد سواى ، حتى لو اضطرت للبقاء بدون زواج إلى الأبد .

ـ اسمح لى .. إن عمك هذا كان متطرفًا فى تفكيره هذا على نحو غير معهود حتى فى العهود القديمة .. وقت أن كان الرجل يمارس سلطاته على أسرته وأبنائه بطريقة (سى السيد) .

تنهد (رءوف) قائلاً :

ـ رحمه الله .. كان شخصًا عنيدًا ومتناقضًا فى تصرفاته .. حتى إننى أستطيع أن أزعم بأننى لم ألتق بإنسان مثله طوال حياتى .. كان رحيمًا وحنونًا وقاسيًا وعنيفًا فى نفس الوقت .

كان ديمقراطيًا فى إدارته لأعماله ، وواسع الصدر فى الاستماع لآراء الآخرين ، وديكتاتورًا لا يقبل المعارضة فى إدارته لشئون أسرته .. على أية حال .. لقد وجدت فى العرض الذى قدمه لى المستشفى الإنجليزى للعمل هناك ؛ فرصة للهرب من هذا الالتزام

الذى أراد أن يكبلنى به ويضعه على عاتقى .. ففررت إلى (انجلترا) .

ابتسم (عزت) قائلاً :

ـ هذا يفسر تلهفك على السفر وقتها .

ـ فى الحقيقة لقد كان هذا أحد أسباب إسراعى بالسفر .. لكنه لم يكن كل الأسباب .

المهم .. لقد ظننت أن سفرى إلى (لندن) سيجعله يتخلى عن هذا الإصرار العجيب على زواجى من ابنته .. وأن ما قاله عن أنه لن يسمح لها بالزواج من أحد سواى .. لم يكن سوى مجرد تعبير عن عناده .. ومحاولة منه للتأثير على .

لكن بعد عودتى من (انجلترا) تبين لى أن الفتاة لم تتزوج بعد .. وأنه ظل مصرًا على تنفيذ قراره بشأن ارتباطها بى حتى اللحظات الأخيرة من حياته .

ـ شىء غريب حقًا .. لكن قل لى .. لماذا لم تكن راغبًا فى الزواج من ابنة عمك .. هل هى دميمة أو غير متعلمة أو أى شىء من هذا القبيل ؟

ـ بالعكس .. إنها آية فى الجمال .. كما أنها على درجة عالية من الثقافة .. برغم أنها ليست مؤهلة تأهيلاً علميًا عاليًا .

فقد حصلت على شهادة الثانوية العامة ، واكتفى أبوها بحصولها على هذا القدر من التعليم .. لأنه لم يكن يرغب فى دخولها الجامعة واختلاطها بزملاء من الشبان.

لقد كان محافظًا إلى أقصى درجة فى هذا الشأن .

فضلاً عن أن المرحوم عمى كان على درجة كبيرة من الثراء .. كما تعلم ، وقد أورثها بعض أملاكه ، وسجلها باسمها فى أثناء حياته .. وقبل أن تحصل على نصيبها الشرعى من الميراث بعد موته .

ـ إذن .. فما الذى منعك من الزواج منها ؟ مادامت على هذا القدر من الجمال والثقافة والتربية المحافظة فضلاً عن الثراء ؟

ـ لأننى ببساطة لم أشعر بأية مشاعر عاطفية تجاهها .. عدا مشاعر القرابة والأخوة .. لم أجد فيها الزوجة التى أحلم بها .

قال (عزت) ساخرًا :

ـ إنه التفكير العاطفى الأحمق .

قال (رءوف) معقبًا :

ـ إنه التفكير الإنسانى الذى ارتضاه الله لعباده ، ورتب عليه ضرورة الإيجاب والقبول بين الزوجين .

ـ على أية حال .. أعتقد أن مشكلتك قد انتهت بعد وفاة عمك .

ـ الأمر ليس بهذه البساطة .. إن بعض أفراد الأسرة مازال يحدثنى عن هذا الأمر .. فضلاً عن الأم .

كما أننى أجد نفسى الآن بعد وفاة عمى مسئولاً عن الفتاة بشكل ما .

ـ لكنك الآن متزوج .

ـ هذا جزء من المشكلة .. فأنا لم أخبر أحدًا من العائلة بأمر هذا الزواج بعد .

ـ لماذا ؟

ـ لأن هذا قد يجعل الجميع ينقلبون ضدى .. ويفسر الأمر على أننى تخليت عن ابنة عمى .. وعن وعدى للمرحوم عمى دون أن أراعى الأصول والمبادئ التى تحكم الأسرة .

قال (عزت) بدهشة :

ـ ما هذا التفكير السقيم ؟ أنت الآن رجل ناضج ودكتور معروف ، فكيف تحكمك تقاليد بالية كهذه ؟

إننى لا أتصور أنه مازال فى عصرنا الحالى أشخاص يتمسكون بمثل هذه الأفكار العتيقة .

ابتسم (عزت) قائلاً :

ـ برغم كل مظاهر المدنية والثقافة التى تبدو على البعض من العائلات ، فإن مثل هذه القيم والأفكار تظل تحكمهم لفترات طويلة ، وربما تنقضى عقود من الزمن قبل أن يتمكنوا من التحرر منها .

ـ وماذا قررت أن تفعل ؟

ـ لقد فكرت فى أن أواجه الأسرة بحقيقة زواجى ..

وبرأيى فى هذا الارتباط الذى يريدون أن يفرضوه على .. ثم أعود إلى انجلترا لأستقر هناك وليكن ما يكون .. فأنا أعرف أن هذا قد يؤدى إلى بعض المواجهات والخصومات ، التى لا أرغب فى حدوثها .

لكننى عدت ففكرت فى رغبتى فى الاستقرار بمصر وشعورى بالمسئولية تجاه الفتاة .. خاصة وأننى برغم كل شىء ، لا أستطيع أن أتجاهل أفضال أبيها علىَّ ، ومساعدته الكبيرة لى التى أوصلتنى إلى ما وصلت إليه الآن .

ـ وهى .. أعنى ما هى مشاعرها تجاهك ؟

ـ أعتقد أن مشاعرها نحوى محايدة .. وأنها لا تحمل لى ما يزيد عن تلك المشاعر الأخوية التى أحملها تجاهها .

ـ إذن أعتقد أنه يتعين عليكما أن تواجها الجميع بهذه الحقيقة دون خوف أو مواربة .

ثم .. يجب أن تطلعهم بأمر زواجك لكى تحسم الأمر .. ودون أن تضطر للعودة إلى (انجلترا) مرة أخرى .

- إننى أفضل إرجاء هذا الأمر لتوقيت مناسب .. خاصة أن زوجتى لم تحضر معى بعد .. ومازالت فى انتظار أن أرسل إليها للحضور من (انجلترا) .

- ومتى يكون هذا التوقيت المناسب فى رأيك ؟

- عندما تجد (سماح) الشخص المناسب وترتبط به .. وقتها يمكن أن أتحرر من هذا الأمر بطريقة نهائية .. وأكون مطمئنًا بشأن الفتاة أيضًا .

- لكنك تقول إنهم متمسكون بأن تكون أنت هذا الزوج المنتظر .

- نعم .. لأن الأم مازالت متمسكة باختيار عمى لى .

لكن لو ظهر شخص آخر مناسب ومن أسرة معروفة .. رجل أعمال ثرى مثلاً .. وله مكانة اجتماعية

مرموقة .. فلا أظن أنها ستظل مصرة على التمسك بهذا الاختيار .

خاصة أنها شديدة الميل للمظاهر والتكافؤ بين الأسر فى حالة المصاهرة .. كما أنها أقل عنادًا من عمى .

وفهم (عزت) أنه يلمح إليه بشأن هذا الزواج .. وقال له بخبث :

- وبقية العائلة ؟

- سيخففون من تشددهم .. خاصة إذا كانت هذه هى رغبة الابنة والأم .. وإذا ضمنوا أن الشخص الذى سيصاهرهم على نفس الدرجة من الثراء والمكانة الاجتماعية .. وليس من أولئك الطامعين فى الانتساب إلى الأسر العريقة ، والاستيلاء على ثرواتهم .

حدجه (عزت) بنظرة ثاقبة قائلاً :

- إذن .. فإنك ترى أننى العريس المناسب للزواج من ابنة عمك .

- بصراحة نعم .

ضرب (عزت) بيده على حرف المائدة الجالس إليها قائلاً :

- آسف .. أنك لن تحل مشاكلك على حساب حريتى .

- فى الحقيقة لقد فكرت فيك باعتبار أنك الشخص الأمثل لهذا الارتباط .. كما أننى شديد الثقة بك على نحو يجعلنى آمن على زواج ابنة عمى منك .

- أنت تعرف رأيى فى هذا الأمر .

- على أية حال إننى لا أفرض عليك الفتاة .. فهناك الكثيرون الذين يتمنونها .. خاصة أن ثروتها تقدر بالملايين الآن . وما لبثت أن استرعت الجملة الأخيرة اهتمام (عزت) فسأله بجدية قائلاً :

- ملايين ؟

- نعم .. ألم أقل لك إن عمى قد سجل لها بعض

أملاكه قبل موته فضلاً عما آل إليها عن طريق الميراث ؟

واختلج قلب (عزت) لدى سماعه ذلك .. فما أحوجه إلى هذه الملايين ليدعم بها مركزه المالى الذى يوشك على الانهيار . إنه مستعد للإقدام على أية مجازفة فى سبيل الخروج من أزمته المالية الطاحنة .. حتى لو كان ذلك عن طريق الإقدام على الزواج .. الذى لم يكن يرحب به من قبل ويجد فيه قيدًا على حريته وعمله .

ولكن .. لو أعلن لصديقه الآن عن استعداده للزواج من ابنة عمه ، فقد يفسر ذلك على أنه طمع فى ثرائها .. خاصة بعد أن أخبره بأمر هذه الملايين ، وبعد أن واجهه بالرفض منذ لحظات .

وأنقذه من البحث عن وسيلة للتراجع عن اعتراضه السابق .. ذلك القول الذى فاجأه به صديقه قائلاً :

- إنك لم تلتق بـ (سماح) من قبل .. أليس كذلك ؟

- نعم .. لم تتح لى الفرصة لذلك .

- إذن ما رأيك لو دبرت لك مقابلة معها .. ربما غيرت رأيك بشأن الارتباط بها بعد هذا اللقاء :

ابتسم (عزت) وهو يتراجع فى مقعده وقد هزّ كتفيه قائلاً :

- لامانع .. ما دامت هذه هى رغبتك .

* * *



٣ - وجه من الماضى ..

قاد (عزت) سيارته عائدًا إلى منزله ، وهو يفكر فيما سمعه من الدكتور (رءوف) .

إن زيجة كهذه يمكن أن تنقذه من الإفلاس .

فلو ساعدته هذه الفتاة بملايينها حتى لو اضطر لأن يجعلها شريكةً له .. فسوف تتحسن أحواله المالية كثيرًا ، وتقف شركته على قدميها مرة أخرى .

ولكن .. ماذا لو سارت الأمور عكس ما يشتهى ؟ ولم توافق الفتاة على زواجها منه .. أو ترحب أمها بهذا الارتباط ؟

فى هذه الحالة سيتعين عليه أن يبحث عن حل آخر .. وعليه أن يكون مستعدًا للبحث عن حل بديل .

وعندما عاد إلى منزله كان لايزال مستغرقًا فى أفكاره .

حينما دخل عليه خادمه حجرته ، وفى يده مظروف قدمه له قائلاً :

ـ لقد حضرت سيدة لمقابلتك منذ ساعة تقريبًا .. وعندما لم تجدك طلبت منى أن أسلمك هذه الرسالة بعد عودتك .

تناول منه الخطاب قائلاً :

ـ ألم تقل لك شيئًا آخر ؟

ـ قالت إنها ستحضر مرة ثانية أو تتصل هاتفيًا .

ـ حسن .. انصرف أنت .

غادر الخادم الحجرة فى حين فض (عزت) الرسالة ليقرأ محتوياتها ، حيث وجد فيها هذه الكلمات .

« حبيبى وزوجى (عزت) .

لقد عثرت عليك أخيرًا بعد أن افترقنا منذ أربع سنوات مضت وكأنها أربعون عامًا .

إنك لا تدرى كم انتظرتك وبحثت عنك .. لكن أخبارك انقطعت تمامًا .. ولا أدرى سر ابتعادك عنى طوال هذه السنوات برغم الحب الكبير الذى جمع بيننا .

لقد عانيت طوال الفترة الماضية من المرض ، ومن هجرك لى . لكن الحمد للَّه على أننى قد عثرت عليك أخيرًا .

إننى فى انتظار حضورك إلى فى العنوان المرفق بهذه الرسالة .

وربما لن أقوى على الانتظار وأحضر إليك بنفسى . فقد انتظرت هذه اللحظة طويلاً » . (ناهد)

ألقى نظرة سريعة على العنوان المسطر فى الخطاب ، ثم ما لبث أن سقطت الرسالة من يده إلى الأرض .. وإن ظل فى مقعده هادئًا ساكنًا ، وهو يحدق فى الجدار المواجه له .

عادت به الذكريات إلى الأعوام الماضية .

كان لايزال مصدومًا على إثر وفاة والدته .. فقد

كان يحبها حبًا عظيمًا .. وشديد الارتباط بها بأكثر من ارتباطه بالأب الذى توفى قبلها بسبع سنوات .

وعندما توفيت تملكته حالة نفسية ، كادت أن تطيح بعقله وحياته من أثر الصدمة .

فوجد نفسه فجأة زاهدًا فى كل شىء .. غير راغب فى العمل أو فى الحديث إلى أى مخلوق ، أو حتى سماع كلمة مواساة من أحد . كان فى حالة غير طبيعية بلا شك وقتها ..

حتى إنه أراد أن يذهب إلى مكان لايعرفه فيه أحد ، ولايعرف به أحدًا .. فقد رغب فى أن يعيش فى عزلة وأن يهجر كل شىء .. الشركة والثروة .. والمجتمع الذى يعرفه .

فذهب إلى إحدى القرى الريفية البعيدة .. حيث اتخذ لنفسه هناك مسكنًا متواضعًا ، وسجن نفسه داخل جدران هذا المنزل .

لم يمتد الأمر به كثيرًا .. وبدأت الصدمة تزول تدريجيًا .. والحزن يتراجع مع مرور الأيام .

وقرر أن يخرج من عزلته بعد عشرة أيام ، قضاها سجينًا فى هذا المنزل المتواضع .

وأخذ يرتاد الحقول والمزارع المجاورة .. حينما رآها لأول مرة كانت جالسة تحت إحدى الأشجار ، وقد أعياها الجهد والتعب وثيابها تنطق بفقرها .

لكنها كانت جميلة برغم البؤس وشحوب الوجه الذى تبدو عليه .

والأهم من ذلك بالنسبة له أنها كانت فى مظهرها هذا .. كما لو كانت تشاركه أحزانه .

وسرعان ما تعرفها .. وعرف بقصتها .

فتاة تنتمى لأسرة فقيرة من إحدى القرى المجاورة ..

أكملت تعليمها حتى المرحلة الإعدادية .. ثم توقفت عن الدراسة لمساعدة أبيها فى زراعة القيراطين اللذين يمتلكهما أبوها من حطام الدنيا بعد وفاة والدتها .. خاصة أنها الابنة الوحيدة لهما .

وما لبث أن اضطر الأب لبيع هذين القيراطين

أيضًا تحت وطأة الحاجة والمرض الذى قضى عليه بعد صراع لم يستمر طويلاً ، ووجدت نفسها وحيدة بلا عائل وبلا مورد رزق ، حتى قريبها الوحيد وهو ابن عم أبيها ، والذى كانت تعده بمثابة عم لها استولى على الدار التى كانت تسكنها مع أبيها ، وطردها منها بحجة أنها ملك لأبيه .. وقد تركها ليسكنوا فيها على سبيل التراضى .

ولم يعبأ بما يمكن أن يصير إليه مصير فتاة شابة ، بلا مأوى ولا أسرة ولا مورد مالى تنفق منه .

وهكذا نزحت الفتاة من قريتها إلى تلك البلدة المجاورة . حيث عملت فى خدمة إحدى الأسر الثرية ، مقابل أن تجد لنفسها مسكنًا تأوى إليه وطعامًا تقتات منه .

وإزاء ذلك حملت بأعباء ضخمة لا تتلاءم مع فتاة ضعيفة مثلها . وفى ظل هذه الظروف كان لقاء (عزت) بها .

وفى ظل اضطراب نفسى .. ومشاعر غير مستقرة .. تودد إليها . وكانت نزوته الملحة بالاقتران بها .

استغل مشاعرها البريئة التى لم تعرف الحب من قبل ، والتى تفتحت على يديه .. وحاجتها .. والظروف القاسية التى مرت بها .. ليجعلها توافق على الزواج منه عرفيًا .

وصحبها معه إلى (بورسعيد) بعيدًا عن البلدة وعن مدينته .. ليتم الزواج هناك .. بشاهدين تم التقاطهما من الطريق ، ليشهدا على هذا الزواج مقابل مبلغ من المال ، وورقة احتفظ بها (عزت) معه تدل على اقترانه بها .

كان يظن نفسه أسعد الرجال وقتها .. واستطاع أن يحدث اختلافًا فى حياة الفتاة بالفعل .

فقد أحاطها بمشاعر الحب القوية .. وأسبغ عليها من كرمه الكثير .. وظنت أن القدر قد ابتسم لها أخيرًا بعد أن ارتبطت به .. وأنها قد ودعت معه كل ما عرفته من قبل من فقر وبؤس وقهر . لكنه ظل حريصًا برغم ذلك على أن يخفى عنها حقيقة شخصيته وظروف حياته .

وكان يغضب أشد الغضب إذا ما حاولت أن تستفسر منه عن شىء من ذلك .

وكانت تخشى غضبه ، فاكتفت بالسعادة التى تعيشها معه .. وبالقدر الذى يسمح لها به أن تعرفه عنه .

فقد خافت أن يتركها .. أو أن يؤدى إلحاحها عليه لتعرف المزيد عنه إلى تخليه عنها .. لتجد نفسها وقد عادت إلى حياة البؤس والشقاء التى عرفتها من قبل .

وفى الحقيقة .. فإنها لم تكن تعرف عنه شيئًا حقيقيًا سوى اسمه فقط .

لكن بعد سبعة أشهر قضاها معها ، انقلب كل شىء رأسًا على عقب .. خفتت مشاعر الحب المتقدة إلى أقصى درجاتها .

وانتهت تمامًا الأزمة النفسية التى عاشها بعد وفاة أمه .. واسترد شخصية رجل الأعمال .. واجتذبه الحنين للعودة إلى حياته السابقة .

وبالطبع لم يكن هناك وجود فى هذه الحياة .. لفتاة قروية من أسرة فقيرة مثلها .

فاستيقظت ذات يوم لتجده قد اختفى تمامًا ، تاركًا لها مبلغًا من المال .. ليغادر (بورسعيد) بأسرها .

وعادت مرة أخرى للضياع الذى عانته من قبل ، حتى الورقة التى تدل على زواجها من الرجل الذى أحبته لم تكن بحوزتها .

والأقسى من ذلك أنها كانت تحمل فى أحشائها جنينًا ، هو ابن ذلك الرجل الذى اختفى من حياتها فجأة كما ظهر فى حياتها فجأة .

تذكر (عزت) ذلك .. وهو يشعل النار فى الرسالة التى تركتها له الفتاة قائلاً لنفسه :

ـ كنت أظن أن هذا الأمر قد انتهى إلى الأبد .. حتى أنا حاولت أن أنسى تمامًا أن هذا قد حدث فى حياتى .

فما الذى بعث هذا الماضى الذى دفنته إلى الحياة مرة أخرى ؟

وأطلق زفرة قصيرة وهو يستطرد قائلاً :

ـ لقد كانت رعونة لاتغتفر ..

فكيف يمكن أن تكون تلك الفتاة الريفية الجاهلة زوجة له ؟

لقد كان غائبًا عن الوعى عندما ترك نفسه لتنقاد إلى عاطفة طائشة مع هذه الفتاة .. إلى حد الاقتران بها .

لكن الحمد للَّه على أن هذا الاقتران لم يكن رسميًا ، وأنه استغل سذاجتها وثقتها الشديدة به ليمنعها من الاستحواذ على تلك الورقة ، التى تدل على أنهما قد تزوجا زواجًا عرفيًا . واحتفظ بهذه الورقة لنفسه .

على أية حال .. لقد ترك لها وقتها مبلغًا من المال يكفى لمساعدتها على مواصلة الحياة .. حتى تتمكن من تدبير أمرها والحصول على عمل ملائم .

وقد ظن أن الظروف قد تغيرت بعد ذلك بالنسبة لها .. وأنها ربما تزوجت من شخص آخر ، وانتهى الأمر عند هذا الحد . لكن أحيانًا وعلى فترات

متباعدة .. كانت قصته مع (ناهد) تقفز إلى ذاكرته فجأة ، فتثير القلق والاضطراب فى نفسه .. وتجعله يشعر بأنه ارتكب خطأ فادحًا .. وأن ظهور هذه الفتاة مرة أخرى فى حياته قد ينغص عليه معيشته .. ويهدد سمعته ومكانته الاجتماعية التى ظل يحرص عليها دائمًا .. على النحو الذى كان عليه أبوه وجده من قبل .

وبرغم أنها لا تملك أى دليل على ارتباطه فى الماضى بها .. وزواجه منها .. إلا أنها كانت تستطيع أن تثير له المتاعب والأقاويل على النحو الذى قد يستفيد من ورائه خصومه .

خاصة وأنه مقبل على ترشيح نفسه لعضوية مجلس الشعب عن دائرته فى الإسكندرية ، ليضيف إلى مكانته الاجتماعية والمادية مكانة سياسية أيضًا ، وبُعدًا جديدًا يعزز مكانته كرجل أعمال معروف وناجح .

وها قد أتاه الإنذار .. فماذا يفعل ؟

وكأنه كان ينقصه أن يأتيه هذا الخطاب من تلك الفتاة التى أراد أن يمحوها من ذاكرته .. فى هذا التوقيت بالذات الذى علم فيه بأنه على وشك الإفلاس .

لكن يبدو أن المتاعب والمصائب تأتيه تباعًا .

ومالبث أن نهض وهو ينادى خادمه ، الذى حضر إليه على الفور حيث قال له بوجه عابس وبلهجة الأمر :

ـ لا أريد أن تستلم خطابات من هذه السيدة مرة أخرى . إذا اتصلت بى هاتفيًا فأنا غير موجود .

وإذا عادت إلى هنا فلا تسمح لها بالدخول .. هل هذا مفهوم ؟

أومأ الرجل برأسه قائلاً :

ـ أمرك يا سيدى .

تمدد (عزت) على فراشه ، وقد أحس بالارتياح لهذا القرار الحاسم الذى اتخذه .

وقال لنفسه :

ـ لا أظن أن هذه الفتاة الريفية تستطيع أن تسبب لى أى إزعاج .. ولو حدث فسوف أعرف كيف أوقفها عند حدها .. على ألا أشغل تفكيرى بها الآن .

بل يتعين على أن أفكر فى أمر زواجى من (سماح) .. إنها بالفعل الزوجة التى تصلح لى الآن فى هذه المرحلة العصيبة التى أمر بها من حياتى .

* * *



٤ـ الأم .. والابنة ..

كانت (سماح) فى الرابعة والعشرين من عمرها .. تتلألأ بجمال الأنوثة وتتميز بعينين زرقاوين ساحرتين .. وشعر أسود فاحم ينسدل فوق كتفيها برقة ونعومة .. وكانت ذات قوام رائع يزيدها جمالاً .

وكانت جالسة بجوار أمها إلى إحدى موائد النادى الذى اعتادت أن تتردد عليه بصحبتها من آن لآخر .

وقد نظرت إليها والدتها بمزيج من الفخر والشفقة .

فقد كانت فخورًا بابنتها لما تحظى به من جمال ، جعلها محط الأنظار ، وحلمًا للعديد من الأشخاص الذين يسعون لخطب ودها ويأملون فى الاقتران بها .

بالإضافة إلى ثرائها الذى أضاف إلى جمالها مزيدًا من التميز .

وفى ذات الوقت كانت تشفق عليها ، لأن أباها بالغ فى تربيته المحافظة لها .. على نحو جعلها

لاتشعر بقيمة كل هذا الذى تملكه وجعلها منطوية إلى حد ما .. بعيدة عن الحياة الاجتماعية التى يتعين أن تحظى بها فتاة مثلها .

فاعتادت هذا الانطواء .. وأصبحت أكثر ميلاً للوحدة والقراءة ، وأقل اختلاطًا بالأصدقاء والصديقات .

ومنذ وفاة أبيها وهى تحاول أن تخرجها من هذه الحياة المنعزلة التى اعتادتها .. وأن تحيطها بجو مختلف عن ذلك الذى ألفته . وأن تشجعها على الاختلاط بالصديقات والأصدقاء ، لتعيدها إلى الحياة الاجتماعية الطبيعية التى ابتعدت عنها بعد أن انتهت من دراستها الثانوية .

كما حاولت أن تغرس فيها الإحساس بقيمة ماتملكه من ثراء وجمال .. وأن تتعامل مع نفسها كأميرة .. لأنها تستحق ذلك .

جلست (سماح) وبين يديها كتاب مفتوح استحوذ على اهتمامها .

بينما كانت أمها تراقبها بهذا المزيج من المشاعر .

وما لبثت أن تحدثت إليها قائلة :

ـ (سماح) .. ألا يكفيك قراءة فى المنزل ؟ هل جئنا إلى النادى لكى تنشغلى فى هذا الكتاب عن كل ما حولك ؟

رفعت (سماح) عينيها عن الكتاب ، وهى تهز كتفيها بلا مبالاة قائلة :

ـ إننى لا أجد حولى ما يستحق الاهتمام .. ثم إن هذا الكتاب شائق للغاية .. وأنت تعرفين حبى للقراءة .

قالت أمها بجدية :

ـ هناك وقت للقراءة .. وهناك وقت للاستمتاع بمباهج الحياة .

ـ لكنى أستمتع بحياتى بالفعل .

قالت الأم معترضة :

ـ كيف ؟ وعالمك يدور حول المنزل والكتاب وزيارة بعض الأقارب المحدودين .

ـ وماذا تريدين منى أن أفعل ؟

ـ يجب أن تعيشى حياتك وسنك .. تختلطى بالآخرين .. تمرحى مع صديقاتك .. فأنت تشبهين فى تصرفاتك سيدة عجوزًا .

ضحكت (سماح) قائلة :

ـ هل هذا ما تظننيه بى حقًا يا أمى ؟

تنهدت الأم قائلة :

ـ (سماح) أنت فتاة جميلة .. وثرية .. ولديك كل ما تتمناه أية فتاة .. فلماذا تصرين على هذه العزلة .. ولا تستمتعين بحياتك ؟

تتعرفين الآخرين .. تسافرين إلى الخارج .. تقيمين الحفلات لأصدقائك وصديقاتك .

ابتسمت (سماح) قائلة :

ـ أنت تعرفين أنه ليس لى رصيد كبير من الأصدقاء والصديقات . ومع ذلك فأنا أحاول أن أنشئ مثل هذه الصداقات ، خاصة مع تلك الفتيات اللاتى تحاولين أن تفرضى على صداقتهن هذه الأيام .

كما أننى آتى معك إلى النادى .. وأحضر الحفلات التى تقيمينها من آن لآخر .. فما هو المطلوب منى أكثر من ذلك ؟

نظرت إليها الأم بنظرة تنم عن عدم الارتياح قائلة :

ـ لكنك لا تتجاوبين مع كل هذا بالقدر الكافى .. وما دمت ترين أن محاولتى إنشاء بعض الصداقات المناسبة بينك وبين الفتيات اللاتى يماثلنك فى العمر فرضًا ، فلا فائدة من ذلك .

إننى أحاول أن أجعلك تعيشين الحياة الاجتماعية التى تلائم فتاة مثلك .. من أسرة عريقة وثرية .

ـ إن هذه الحياة التى تحاولين أن تدفعينى لها تختلف عن تلك التى ربانى عليها أبى طوال عمرى .

ـ أنت تعرفين أننى لم أكن راضية عن هذا الأسلوب الصارم المتزمت فى التربية .

ـ كان أبى يقول دائمًا : إن هذا هو الأسلوب الأمثل لتربية الفتاة وحمايتها .

قالت الأم معترضة :

ـ نظرية خاطئة .. والدليل على ذلك أن هناك العديد من الفتيات يمارسن حياتهن بطريقة طبيعية ، وبأسلوب أقل صرامة ، ومع ذلك لا يمكن أن يؤخذ عليهن أى مأخذ .. كما أنهن يعرفن كيف يحمين أنفسهن جيدًا .

أنت تعرفين أننى عشت طوال حياتى أحترم أباك وأحبه .

وكثير من أفكاره وآرائه ومبادئه هى موضع تقدير واحترام من جانبى .. ووافقته عليها دائمًا عن اقتناع وثقة .. لكننى لم أكن موافقة على الأسلوب الذى فرضه عليك فى التربية .

قالت (سماح) وفى عينيها نظرة اتهام :

ـ ولماذا لم تعترضى على ذلك وتتصدى له وقتها يا أمى ؟ خاصة فى مسألة إكمال دراستى .

ـ أنت تعرفين أن أحدًا لم يكن يجسر على معارضة المرحوم والدك .

شردت (سماح) بأفكارها وهى تردد قائلة ، كما لو كانت تحادث نفسها :

ـ كم تمنيت أن أكمل دراستى .. وأن أواصل تعليمى حتى نهاية مراحله .

ابتسمت الأم قائلة :

ـ يمكنك أن تفعلى ذلك الآن لو أردت .

تنهدت (سماح) قائلة :

ـ لا أظن ذلك .. لقد تأقلمت على ما أنا عليه الآن .

وصمتت برهة قبل أن تلتفت إلى أمها وهى تستطرد قائلة :

ـ لكنى على أية حال لست معترضة على محاولة التأقلم مع أسلوب آخر للحياة .. وصدقينى يا أمى إننى أبذل كل جهدى للتجاوب معك وتعرف الآخرين .. ولكن رويدًا .. رويدًا .. يا أمى .. فأنا أشبه الآن طفلة صغيرة تتفتح عيناها على الحياة من جديد .

كما أنه ليس كل ما اعتدته سيئًا .. بل بعض هذه

العادات تلقى حبًا حقيقيًا فى نفسى .. كالقراءة مثلاً .

نظرت إليها الأم بتمعن قائلة :

ـ وماذا عن الزواج ؟

نظرت إليها (سماح) باستغراب قائلة :

ـ الزواج ؟

ابتسمت الأم قائلة :

ـ نعم .. ألا ترين أنه قد آن الأوان لتفكرى فى أمر زواجك ؟

ـ لماذا يتعين على أن أفكر فى أمر الزواج الآن ؟

ـ لأنك ستبلغين الرابعة والعشرين من عمرك بعد أسبوع واحد فقط .. وأظن أن هذه هى السن الملائمة للزواج بالنسبة للفتاة .

ضحكت (سماح) قائلة :

ـ هل ترشحين لى عريسًا أيضًا ؟

ـ عريسك موجود .. وكان يتعين عليكما أن تكونا متزوجين منذ أربعة أعوام مضت .

قالت (سماح) مازحة :

ـ حقًا .. ومن هو ؟

نظرت إليها الأم بعتاب قائلة :

ـ لا تقولى إنك لاتعرفينه .. وإلا ظننت هذا استخفافًا بأمك .

ـ تقصدين .. الدكتور (رءوف) ؟

ـ بالطبع .

قالت (سماح) بضيق :

ـ هل سنعود إلى هذا الحديث مرة أخرى يا أمى ؟

ـ إننى لا أعرف .. ما الذى لايعجبك فى (رءوف) ؟ إنه إنسان ناجح وطبيب معروف وثرى .. فضلاً عن أنه من العائلة .

ـ إننى أعرف كل هـذا .. لكن (رءوف) بالنسبة لى .. ليس .. ليس .. أكثر من أخ .

ـ دعك من هذه الأقاويل .. إنه الشخص المناسب لك .. على الأقل أنا واثقة أنه لايطمع فى ثروتك .

ـ من الغريب يا أمى .. أنك كنت تتحدثين منذ قليل عن قدر من الحرية لى بعيدًا عن اختيارات أبى .. ومع ذلك فأنت تصرين على اختياره وإصراره الغريب على زواجى من (رءوف) .

ـ إذا كنت أتحدث عن قدر من الحرية والحياة الاجتماعية بالنسبة لك ، فهذا لايعنى تحررًا كاملاً من الأصول والقواعد المتبعة .. على الأقل بالنسبة لعائلة مثل عائلتنا .. لها أصول وتقاليد . ولا أظن أنك ستسمحين لنفسك أن تختارى من تشائين للاقتران به دون موافقة أسرتك مثلاً .

إذا كنت قد فهمت ذلك من حديثى معك فأنت مخطئة .

ـ أنا لم أقل ذلك .

ـ كما أننى أرى أن اختيار أبيك لشاب مثل (رءوف) .. كان اختيارًا ملائمًا تمامًا .

ـ لكنه ليس ملائمًا لى .

ـ لماذا ؟

ـ لأننى لا أشعر نحوه بأية عاطفة حقيقية عدا عاطفة الأخوة .

ـ المشاعر أحيانًا تكون خادعة .. وعندما تتزوجين منه ..

قاطعتها (سماح) قائلة :

ـ وهو أيضًا أوضح أكثر من مرة أن مشاعره نحوى لاتنطوى على الحب .

ـ لقد أصبح فى حكم خطيبك .

ـ أنتم الذين افترضتم ذلك .. لقد انقضت سنوات طويلة على هذه الخطبة المزعومة .. لكنها لم تسفر عن شىء .. وها هو ذا قد عاد من (لندن) ، دون أن يشير ولو بطرف خفى إلى هذه الخطبة التى حاول أبى والعائلة فرضها عليه .

ـ حسن .. سأتحدث إليه فى هذا الأمر .

ـ ليس من اللائق أن تتحدثى إليه فيه ..

ـ لكن .. لابد من حسم هذه المسألة معه .

ـ إننى أرى أن تنسى هذا الأمر ولاتحرجيه أكثر من ذلك .

ـ وهل ستبقين معلقة هكذا ؟

ـ أليس هذا هو ما أراده أبى قبل وفاته ؟ أما الزواج من (رعوف) أو لازواج مطلقًا .

قالت الأم بغضب :

ـ دعك من هذا الهراء .. لقد قال أبوك هذا كمحاولة منه للتأثير عليك فقط .

لكن إذا لم يحدد (رعوف) موقفه خلال الأسبوعين القادمين ، فأنت لست ملزمة بشىء من هذا .

ابتسمت (سماح) قائلة :

ـ هل يعنى هذا .. أنه سيمكننى اختيار الزوج المناسب لى ؟

ابتسمت الأم بدورها قائلة :

ـ نعم .. ولكن يتعين أن أوافق أنا أيضًا عليه أولاً .

قالت (سماح) دون أن تتخلى عن لهجتها المرحة :

ـ حسن .. أرجو ألا تتعجلى هذا الأمر إذن .. فاختيار الرجل الملائم بالنسبة لى سيحتاج إلى وقت طويل .

نظرت أمها إليها وعلى وجهها ملامح الأسف .. فقد أحست بأن ابنتها باردة العاطفة .. كثيرة الاستخفاف بأمور الحياة حولها .

قالت لها بصوت غاضب :

ـ كلا .. إننى لن أقبل بالانتظار طويلاً .. ولاداعى لأن تأخذى مثل هذه الأمور المهمة بذلك القدر من الاستخفاف والعناد .

لقد قلت لك أن الرابعة والعشرين سن مناسبة تمامًا للزواج بالنسبة للفتاة .. ولن أنتظر حتى تبلغى الثلاثين من عمرك .

أشاحت الفتاة بوجهها بعيدًا دون أن تعقب على كلمات أمها ، وما لبث أن استرعى انتباهها ذلك الشاب الذى كان ينظر إليها باهتمام .. وقد أمسك بكراسة رسم كبيرة فى يده .. وفى اليد الأخرى قلم فخم أخذ يرسم به على إحدى ورقات الكراسة .

وكان من الواضح من اهتمامه ونظراته إليها أنه يرسمها هى .

وما إن وقعت عيناه على عينيها ، وأحس أنها قد لاحظت ما يفعله ، حتى توقف عن الرسم وتطلع إليها مكتفيًا بابتسامة لطيفة ارتسمت على وجهه .

* * *



٥ ـ صفقة العمر ..

كانت له عينان سوداوان جذابتان ، تحت جبين سطرت عليه آيات الحيوية والنشاط والصلابة .

أحست بارتباك شديد عندما تقابلت عيناهما .. ولم تدر أتبادله الابتسامة أم تتظاهر بالغضب لتفرسه فى وجهها على هذا النحو ؟

وقادها ارتباكها فى هذه اللحظة لأن تخفض بصرها صوب الكتاب الذى بين يديها .. وتتظاهر بالقراءة .

لكنها لم تستطع التظاهر بعدم المبالاة طويلاً .. خاصة وقد أحست بقلبها يخفق بشدة .

وعندما رفعت عينيها عن الكتاب ، وعادت تنظر فى اتجاهه مرة أخرى ، كان قد ابتعد عن المكان .. واختفى تمامًا .

فى تلك اللحظة برق فى نفسها إحساس مباغت ..

إحساس بالأسف حيث قد لاترى وجه ذلك الشاب مرة أخرى .

وبدا لها هذا الإحساس غريبًا ومثيرًا للقلق .. حقًا ما أعجب القلب الإنسانى .

فلم حدث هذا الاضطراب عندما تقابلت عيناها بعينيه ؟ وما الذى جعلها تخفق بشدة هكذا ؟

ولِمَ هذا الشعور بالحيرة والأسف لاختفائه المفاجئ ؟

أسئلة عديدة دارت فى عقلها ونفسها .. لم تجد لها أجوبة .

وتنبهت على صوت أمها وهى تتحدث إليها قائلة :

ـ (سماح) ماذا ألم بك ؟

قالت لها وهى تحاول أن تنزع نفسها من شرودها :

ـ هه ؟ لا شىء .. لاشىء يا أمى .

حدجتها أمها بنظرة ثاقبة قائلة :

ـ لماذا تبدين مضطربة هكذا ؟

قالت لها وقد خمد البريق المتلألئ فى عينيها :

ـ مضطربة ؟ كلا لست مضطربة على الإطلاق .

ـ ألا ترين أنه يجب علينا أن ننصرف الآن ؟

قالت (سماح) بتردد وهى تتلفت حولها :

ـ كما ترغبين يا أمى .

ظلت تتطلع إلى رؤيته قبل أن تغادر النادى .. لكنها لم تعثر له على أثر .. وكأنه خيال عابر ظهر لها فى حلم يقظة .. ثم ما لبث أن اختفى .

وطوال الطريق .. ظلت تتساءل عمن يكون هذا الشاب .. لقد حضرت إلى النادى .. مرات عديدة .. لكنها لم تره من قبل .. هل هو مجرد زائر أم عضو بالنادى .. لكنه لايتردد عليه كثيرًا ؟

ولماذا كان يحدق فى وجهها هكذا ؟

من الواضح أنه رسام .. فقد كان ممسكًا بكراسة الرسم وذلك القلم فى يديه بطريقة تدل على أنه رسام .

هل كان يرسمها فى أثناء انشغالها بالحديث مع أمها ؟

إن الطريقة التى كان ينظر بها إليها .. واستخدامه للقلم تدل على ذلك .

ولكن .. لماذا اختارها هى بالذات ليرسمها ؟

وما الذى اجتذبه فيها ؟

وعادت لتقول لنفسها :

ـ ربما كان يفعل ذلك بالنسبة لكل فتاة تقع عليها عيناه وتسترعى انتباهه .

* * *

بعد أسبوع تلألأت الأضواء فى فيلا المرحوم (وهدان) احتفالاً بعيد ميلاد (سماح) .

وفى الثامنة بدأ المدعوون فى التوافد على الفيلا للمشاركة فى هذه المناسبة .

لم تكن (سماح) سعيدة بهذا العدد الكبير من المدعوين .. وبهذا الحفل المبالغ فى مظاهره .

بل كانت تتمنى احتفالاً بسيطًا يضمها هى وأمها ، وعددًا محدودًا من أقاربها .. بل كانت تفضل ألا يقام

أى احتفال بهذه المناسبة .. وتنعم بدلاً من ذلك بليلة هادئة تستمع خلالها إلى الموسيقى .. وتقرأ الكتاب الجديد الذى اشترته اليوم من إحدى المكتبات واستحوذ على اهتمامها .

لكن .. ماذا تفعل إذا كانت أمها قد أصرت على إقامة هذا الاحتفال الصاخب ؟ ودعوة أكبر عدد من المعارف والأصدقاء لتجد وسيلة ما للتباهى بابنتها .. وجذب الانتباه إليها ؟

وبدأت (سماح) تستقبل الضيوف وكأنها تؤدى مهمة ثقيلة على نفسها .

بينما كانت الأم تنظر فى ساعتها من آن لآخر فى انتظار حضور الدكتور (رءوف) ..

فقد عقدت العزم على ألا يتم إطفاء الشموع إلا بعد حضوره .. كما عقدت العزم أيضًا على تحديد موقفه بصورة قاطعة بالنسبة لابنتها .. وإلا بحثت لها عن زوج آخر أكثر ملاءمة لها .. دون الاعتداد برغبة المرحوم زوجها .

وما لبث أن ظهر الدكتور (رءوف) وبصحبته (عزت) .. وقد بديا فى كامل أناقتهما .

تقدم الدكتور (رءوف) نحو الأم ليصافحها باحترام شديد قائلاً :

- مساء الخير يا (ألفت هانم) .. كل سنة و (سماح) طيبة .

رسمت الأم الابتسامة على وجهها قائلة :

- أهلاً دكتور (رءوف) .. لقد تأخرت بعض الشىء .. لكنى أصررت على عدم إطفاء الشموع قبل حضورك .

ابتسم (رءوف) قائلاً :

- آسف للتأخير .. لقد كان الطريق مزدحمًا هذه الليلة .. مما جعلنى أجد صعوبة فى الحضور فى الوقت المناسب .

ثم أشار إلى (عزت) وهو يردف قائلاً :

- اسمحى لى أن أقدم لك صديقى (عزت) من كبار رجال الأعمال فى الإسكندرية .

صافحته الأم بترحيب قائلة :

ـ أهلاً بك يا (عزت بك) .

قال لها (عزت) وهو يصطنع الحرج :

ـ أنا آسف .. إذا كنت قد أقحمت نفسى على هذا الحفل .. ولكن فى الحقيقة .. فإن (رءوف) أصر على ..

قاطعته الأم لتعفيه من الحرج قائلة :

ـ أصدقاء الدكتور (رءوف) هم أصدقاؤنا أيضًا .. تفضلاً .

وما لبثت أن نادت (سماح) التى كانت تتحدث إلى إحدى صديقاتها تدعوها للترحيب بالرجلين .

وما إن وقعت عين (عزت) عليها حتى تسمر فى مكانه ، وهو يحدق بها وقد غمغم لنفسه قائلاً :

ـ هل هذه هى الفتاة التى لايرغب (رءوف) فى الاقتران بها ؟

يا له من أحمق ! لابد أنه لايرى جيدًا .. فالفتاة أجمل بكثير مما وصفها له .

ابتسمت (سماح) وهى تصافح (رءوف) قائلة :

ـ أهلاً دكتور (رءوف) .. لقد كنا فى انتظارك .. وأمى أصرت على ألا تطفئ الشمع قبل حضورك .

قال لها (رءوف) مداعبًا :

ـ لو فعلت ذلك لحرمتك من الهدية التى أحضرتها لك .

ثم قدم لها الهدية وهو يبتسم قائلاً :

ـ كل سنة وأنت طيبة يا (سماح) .

تناولت (سماح) هديته قائلة بامتنان :

ـ أشكرك يا (رءوف) .

أشارت الأم إلى (عزت) الذى كان واقفًا بجوار صديقه ، وهو يحدق فى الفتاة بإعجاب شديد لم تخطئه عيناها الثاقبتان قائلة :

ـ الأستاذ (عزت) صديق (رءوف) .

صافحته (سماح) قائلة :

- أهلاً وسهلاً .

ظل يحدق بها فى جرأة لبرهة ، حتى أجبرها على أن تغض الطرف ، وهو محتفظ بيدها البضة الناعمة فى يده .. قبل أن يتحدث إليها قائلاً :

- كل سنة وأنت طيبة يا آنسة (سماح) .

أسرعت (سماح) بجذب يدها من يده .. وقد أحست بعدم ارتياح تجاه الرجل .. وتلك الجرأة التى ينظر بها إليها ..

وما لبث أن وضع يده فى جيبه ليخرج منها علبة صغيرة أنيقة .. قدمها لها قائلاً :

- فى الحقيقة .. لم أكن أعلم أننى سأحضر إلى هنا إلا منذ ساعات قلائل .. فلم يسعفنى الوقت لإحضار هدية مناسبة .

لذا أرجو أن تقبلى هديتى المتواضعة .. وأن تقبلى معها اعتذارى .

نظرت (سماح) إلى العلبة وهى مترددة .. ثم مالبثت أن تناولتها منه قائلة :

- أشكرك .. ولكن لم يكن هناك داع لهذه التكلفة ..

ابتسم (رءوف) قائلاً :

- لقد قلت له هذا .. لكن (عزت) يصر دائمًا على التمسك بهذه الأمور .

تحدثت الأم إليه قائلة :

- شكرًا لك يا (عزت بك) .. والآن تفضلا لإطفاء الشموع وافتتاح البوفيه .

أشار إليها (عزت) لكى تتقدمهما الأم وابنتها ، وعيناه تتابعان (سماح) .

بينما همس له (رءوف) قائلاً :

- ما رأيك ؟

قال له (عزت) دون أن يرفع عينيه عن الفتاة :

- أظن أننى سأغير رأيى بالنسبة لموضوع الزواج .

- إذن .. فقد أعجبتك .

- أعجبتنى ؟ لقد وقعت فى غرامها منذ النظرة الأولى .

ضحك (رءوف) وهو يهمس له قائلاً :

ـ من هـذا الذى يتكلم ؟ لا أظن أنه رجل الأعمال والتجارة (عزت الوسيمى) .. أشهر عزب فى الإسكندرية .

ـ إن أشهر عازب فى الإسكندرية مستعد الآن لتوديع حياة العزوبية .

نظر إليه (رءوف) بدهشة قائلاً :

ـ هل تتكلم بجد ؟ وبهذه السرعة ؟

ـ ألم أقل لك إنى وقعت فى غرامها منذ الوهلة الأولى ؟

ـ لا يا صديقى .. هذه الأمور لا تتم بتلك العجلة .. لابد من بعض الإجراءات والترتيبات أولاً .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ لاتنس أننى ما زلت بالنسبة لهم المرشح الأول للزواج من (سماح) .

ـ لكنك قلت ..

ـ نعم .. نعم .. أعرف ما قلته .. لكنى قلت لك أيضًا إنه يتعين عليك أن تنال موافقة الأم .. وإعجاب (سماح) وقبولها أولاً .. لكى يسهّل لك ذلك الأمور ويفتح أمامك الأبواب .. وهذا أمر يحتاج إلى بعض الوقت والترتيب .. ألست معى فى ذلك ؟

قال (عزت) متبرمًا :

ـ لم أكن أظن أن شخصًا مثلى يحتاج إلى كل هذه التعقيدات من أجل الاقتران بفتاة .

ـ لاحظ أن (سماح) فتاة جميلة وشابة وثرية أيضًا .. أى أنك لاتتفوق عليها فى شىء .. بل ربما أن صغر سنها بالنسبة لك ..

قاطعه (عزت) قائلاً :

ـ لا أظن أن هذا يسبب مشكلة كبيرة .. فأنا ما زلت شابًا .. كما أنهم كانوا يريدون أن يزوجوها لك .. وأنت تماثلنى فى العمر تقريبًا .

ضحك (رءوف) قائلاً :

- لا يا صديقى .. لا تنس أننى أصغرك بعامين على الأقل .. ثم يا أخى ما سر هذه العجلة المفاجئة ؟ لقد استمررت عزبًا أكثر من أربعين عامًا .. فيمكنك الانتظار بضعة أشهر أخرى ، كما أن ما تتحدث بشأنه زواج وليس صفقة تجارية من صفقاتك .

ثم لكزه فى كتفه قائلاً وهو يبتسم :

- هيا لنشارك فى إطفاء الشموع .. ولتحصل على نصيبك من التورتة .

* * *



٦ - عروس البحر ..

توجه الشاب الذى لمحته (سماح) فى النادى وهو يرسمها إلى منزله ، وقد اعتراه إحساس بخيبة الأمل .

فهذه هى المرة الثالثة التى يذهب فيها إلى النادى ، محاولاً رؤية تلك الفتاة التى بهرته وحركت القلم فى يده ليرسمها ، دون أن يتمكن من ذلك .

لقد كان مترددًا فى البداية فى العودة للذهاب إلى النادى بحثًا عنها .

فالفنان قد يتضخم إحساسه فى لحظة ما تجاه الأشخاص والأشياء ، فيبالغ فى تصويره .. كانبهاره بهذا الجمال الملائكى الذى رآه منطبعًا على وجه هذه الفتاة .

وربما لو عاد لرؤية الشىء ذاته مرات متعددة بعد ذلك ، لوجد أن هذا الإحساس كان خادعًا .. ووليد اللحظة فقط .

لذا فقد أراد أن يحتفظ بها فى خياله ، على نفس الصورة التى رآها عليها .. وخشى أن تختلف تلك الصورة لو تجددت رؤيته لها مرة أخرى .

أراد أن تبقى تلك اللحظة كامنة فى نفسه ومشاعره ، دون أن يرى فيما بعد ما يقلل من هذا الجمال ، أو يفسد هذه اللحظة .. لكنه سرعان ما تخلى عن تردده بعد أن سيطرت عليه مشاعر قوية قادته للبحث عنها .. ومحاولة رؤيتها مرة أخرى .

لكن يبدو أن القدر قد اختار له تلك الدقائق القليلة التى رآها فيها لأول مرة .. لكى تبقى فقط محفورة فى نفسه وعقله دون أن يسمح له برؤيتها مرة أخرى .

على أية حال .. إن هذا الوجه هو ما كان يحتاج إليه تمامًا لاستكمال لوحته (عروس البحر) التى استغرق أكثر من شهرين فى رسمها .

وليس أمامه الآن سوى أن يسجل هذا الوجه على لوحته .. دون التفكير فى أى شىء آخر .

ودخل (طارق) إلى مرسمه ليضع اللوحة الصغيرة

التى رسمها بقلم الفحم ، بجوار اللوحة الزيتية الكبيرة التى كانت تحتل مكان الصدارة .. بالنسبة لبقية اللوحات التى ينوى أن يشارك بها فى المعرض القادم .. لوحة (عروس البحر) .

وما لبث أن تناول الفرشاة ، وبدأ ينقل هذا الوجه الجميل على جسم المرأة ذات الثوب الهفهاف ، وهى تصعد من البحر محاطة بمزيج من الشعب المرجانية ذات الألوان المتعددة .. وقد انسجم نصفها العلوى مع ألوان الطبيعة حولها .. فى حين بقى نصفها السفلى شديد الامتزاج بلون زرقة البحر .. وانعكاس ضوء الشمس عليه .. كانت لوحة رائعة بالفعل .. تدل على أن من رسمها فنان موهوب . وبرغم أن اللوحة نفسها لم تستغرق منه وقتًا طويلاً .. إلا أنه ظل حائرًا بالنسبة للوجه الذى يجب أن تكون عليه (عروس البحر) الأسطورية كما تصورها .

وقد حاول رسم عدة وجوه مختلفة لها فى لوحات خارجية .. لكى يرى مدى ملاءمتها للوحة .

لكن أيًا منها لم يرض مشاعره وطموحه كفنان .

إلى أن رأى (سماح) .. فشعر أنه قد وقع على الوجه الذى تمناه .. وأنها الوحيدة التى تصلح لأن تكون عروس البحر .

ولم يشعر بنفسه إلا وهو يتناول القلم وكراسة الرسم .. ليرسم هذا الوجه الجميل .

وبرغم أنه لم يكن قد انتهى من رسم الوجه تمامًا .. إلا أن نظرتها المفاجئة إليه .. وانتباهها إلى ما يفعله ، أصابه بشىء من الارتباك .. وجعله يتوقف عن الرسم ويسارع بالابتعاد .

وبعد لحظات من استغراقه فى رسم اللوحة سمع طرقًا على الباب ، فذهب ليفتح حيث وجد صديقًا له .

لم ينتظر صديقه حتى يدعوه للدخول .. بل دخل إلى المكان على الفور قائلاً بمرح :

ـ أهلاً (طارق) .. كيف حالك ؟

قال له (طارق) متبرمًا :

ـ يا أخى .. إنك تأتى دائمًا فى أوقات غير مناسبة .

التفت إليه صديقه قائلاً :

ـ لماذا ؟ هل تستعد لتناول الطعام ؟

ـ بل بدأت توًّا فى الرسم .

ابتسم صديقه قائلاً :

ـ وما المشكلة ؟ استمر أنت فى الرسم وسأبدأ أنا فى إعداد الطعام .

ثم استطرد وهو يهمس له قائلاً :

ـ إن الثلاجة عامرة بالطبع .. أليس كذلك ؟

ـ ألا تفكر فى أى شىء آخر سوى الطعام ؟

ـ بل أفكر فى أى شىء آخر بالطبع .. فتاة جميلة مثلاً .. مبلغ كبير من المال أشترى به سيارة جديدة .

ـ هذا يدل على أنك أجوف .

أطرق صديقه مفكرًا لبرهة وهو يردد قائلاً :

ـ أجوف ؟ ماذا تعنى بهذه الكلمة ؟ إياك أن تكون نوعًا من السباب .

على أية حال .. إننى لست فنانًا مثلك .. أعيش فى عالم من الأحلام والخيال .. إننى أحب كل ما هو واقع وملموس .

ـ حسن .. هل يمكنك أن تأخذ ما تريده من الثلاجة وتتركنى لعملى ؟

ضحك صديقه وهو يلكزه فى جانبه قائلاً :

ـ يبدو أن الابداع قد تجلى عليك هذه المرة .. فقد انقضى وقت طويل قبل أن أراك متحمسًا للرسم هكذا .

هل أعد لك بعض السندوتشات معى ؟

ـ كلا .

اتجه صديقه إلى المطبخ ، وهو مستمر فى ثرثرته بصوت عال قائلاً :

ـ لكن .. قل لى .. ما هى هذه اللوحة التى ترسمها وتستولى على اهتمامك هكذا ؟

ـ عروس البحر .

صاح صديقه من الداخل قائلاً :

ـ ماذا ؟ ارفع صوتك فإننى لا أسمعك .

هتف (طارق) قائلاً :

ـ عروس البحر !

هتف صديقه قائلاً :

ـ عروس البحر مرة أخرى ؟

لكن (طارق) لم يجبه .. فقد دخل إلى مرسمه وعاد للإمساك بفرشاته والاستغراق فى الرسم .

وما لبث أن لحق به صديقه حاملاً طبقًا يحتوى على عدد من السندوتشات .. أخذ يلتهم أحدها قائلاً :

ـ أما زلت مستغرقًا فى رسم تلك المرأة التى لا وجه لها ؟

ابتسم (طارق) قائلاً :

ـ لقد عثرت على هذا الوجه أخيرًا .

قال صديقه وهو مستمر فى التهام السندوتشات :

ـ حقًا ؟ فى خيالك .

تطلع (طارق) إلى صورة (سماح) قائلاً :

ـ بل فى الواقع .

توقف صديقه عن الأكل وهو ينظر إليه باهتمام قائلاً :

ـ فى الواقع .. كيف ؟

نظر إليه (طارق) قائلاً :

ـ رأيتها .. رأيتها يا (فؤاد) .

تطلع إليه (فؤاد) باستغراب قائلاً :

ـ رأيت من ؟

ـ عروس البحر .

اقترب منه (فؤاد) وعلامات الدهشة مازالت مرتسمة على وجهه قائلا :

ـ أى عروس بحر تلك التى رأيتها ؟

ـ ألا تفهم يا أخى ؟ أعنى أننى رأيت الوجه الذى تخيلته للوحة .

ـ كنت أظن أن هذا الوجه ليس له وجود فى الواقع .. لكنك تبحث عنه فى خيالك فقط .

قال (طارق) وهو يحدق فى الصورة بعينين حالمتين :

ـ إن ما رأيته فى الحقيقة أجمل بكثير مما صوره لى خيالى .

ضحك (فؤاد) قائلاً بتهكم :

ـ ما هذا ؟ لقد تركت الرسم وانضممت إلى طائفة الشعراء أيضًا .

ـ ألا تصدقنى ؟

قال له مستخفًا :

ـ نعم .. نعم .. إننى أعرف شطحات الفنانين من أمثالك .

إنهم يبالغون فى تصويرهم للأشياء .

تناول (طارق) الصورة التى رسمها ليظهرها له قائلاً :

ـ إذن .. انظر .. وقل لى .. هل أبالغ حقًا فى وصفى لها أم لا ؟

حدق (فؤاد) فى الصورة قائلاً :

ـ من هذه ؟

ـ إنها الفتاة التى أحدثك عنها .

تطلع (فؤاد) إلى الصورة بعينين تشعان إعجابًا .. قائلاً :

ـ معك حق .. لو كانت الفتاة بمثل هذا الجمال الخلاب الذى رسمتها به .. فإنها تستحق كل ما قلته وما يمكن أن تقوله عنها .

تناول (طارق) الصورة منه ليعيدها إلى مكانها بجوار اللوحة قائلاً :

ـ لكى تعذرنى .

ـ ولكن قل لى .. متى وأين التقيت بهذه الفتاة الساحرة ؟

ـ منذ أسبوع تقريبًا .. فى النادى .

ـ أى ناد ؟

ـ نادى الجزيرة .

ـ لكنك لست عضوًا فى هذا النادى .

ـ لقد ذهبت إلى هناك لتسليم إحدى لوحاتى .. لعضو مرموق هناك .

ليس هذا هو المهم .. المهم أننى رأيتها .. ولم أصدق عينى حينما وقع بصرى عليها .

كانت مستغرقة فى الحديث مع إحدى السيدات .. يبدو أنها أمها أو إحدى قريباتها .. لا أعرف .

كل ما أعرفه أننى تناولت كراسة الرسم التى أحضرتها معى .. وجدت نفسى أرسم وجهها بكل ما يحويه من تفاصيل دقيقة وجميلة .. وبنفس التعبير الذى كان مرتسمًا عليه لحظتها .

قال صديقه وقد ظهرت على وجهه ملامح الفضول :

ـ هه .. وماذا حدث ؟

ـ فى البداية .. لم تكن منتبهة تمامًا إلىّ .. بل أعتقد أنها لم تشعر بوجودى .

لكن فجأة رأيتها تنظر فى اتجاهى .. ويبدو أنها قد تبينت أننى أرسمها .

ازدادت ملامح الفضول والاهتمام على وجه (فؤاد) .. فى حين استطرد (طارق) قائلاً :

ـ ولا أعرف .. ما الذى جعلنى أشعر بارتباك شديد فى هذه اللحظة ؟

ـ المهم .. ما الذى حدث بعد ذلك ؟

ـ توقفت عن متابعة الرسم .. وأسرعت بمغادرة المكان .

نظر إليه (فؤاد) باستياء قائلاً بعد برهة من الصمت :

ـ أسرعت بمغادرة المكان .. هل هذا هو كل ما فعلته ؟

ـ نعم .

ـ دون أن تحاول التحدث إليها .. أو حتى إطلاعها على الصورة التى رسمتها لها ؟

ـ لقد خشيت أن تغضب منى .. أو تطالبنى بإعطائها الصورة . ثم تلك السيدة التى كانت معها .. لا أعرف .. لقد انتابنى إحساس بالارتباك كما قلت لك .. مما جعلنى أبادر بمغادرة النادى .

ـ يا لك من أحمق .. أتظن أنه يمكن للمرء أن يلتقى كل يوم بفتاة فائقة الجمال كهذه .. لكى تسرع بالهرب منها لحظة أن وقعت عيناها على عينيك ؟

ـ وما الذى كنت تريد منى أن أفعله ؟

قال له مؤنبًا :

ـ لو كنت مكانك لفعلت أى شىء .. ولجأت لكل حيلة أو وسيلة من أجل تعرفها ..

لقد وقعت فى هواها لمجرد أن رأيت الصورة فقط .. فما بالك بالواقع ؟

قال له (طارق) بضيق :

ـ هذا هو ما حدث .. على أية حال فإن ما يهمنى هو أننى قد وجدت فيها الوجه الذى أبحث عنه لاستكمال لوحتى .

ـ هل هذا هو كل ما يعنيك ؟ وجه تكمل به لوحتك ؟ وأين المشاعر يا صديقى ؟

إن (عروس البحر) التى ترسمها هى مجرد خيال فنان .. أما صاحبة هذه الصورة فهى بشر من لحم ودم .

وتطلع إلى الصورة وهو يستطرد قائلاً بامتنان :

ـ وأى بشر !

قال (طارق) بصوت خافت :

ـ لقد حاولت أن أراها مرة أخرى .. لكنى لم أتمكن من ذلك .

التفت إليه صديقه قائلاً .

ـ حقًا .. كيف ؟

ـ انتحلت الأعذار للذهاب إلى النادى بحجة مقابلة صاحب اللوحة ، أملاً فى أن أراها .. لكنى لم أعثر لها على أثر .

ـ ألم تحاول أن تسأل عنها ؟

نظر إليه (طارق) باستنكار قائلاً :

ـ أسأل عنها ؟ كيف ؟ هل تريدنى أن أعلق صورتها على صدرى ، وأدور بها فى النادى لكى يدلنى أحدهم على صاحبة هذه الصورة ؟

ـ ليس كذلك بالضبط .. ولكن ..

قاطعه (طارق) قائلاً :

ـ إننى لن أحاول الإساءة إليها بأى تصرف غير لائق .. كما أننى لن أحاول البحث عنها مرة أخرى .

ـ يا أخى .. إننى لا أفهمك .. إنك ..

وصمت فجأة كما لو كان قد تنبه لشىء قائلاً :

ـ ولكن انتظر .. هل تقول إنك ذهبت إلى النادى بحثًا عنها .. ورغبة فى أن تراها مرة أخرى ؟

ـ نعم .

ابتسم (فؤاد) قائلاً :

ـ إن هذا يعنى أن الأمر ليس مجرد وجه للوحة أردت أن ترسمها .

قال (طارق) باستغراب :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى .. أنك لو كنت تريد الوجه .. فهأنتذا قد حصلت عليه . أما سعيك للبحث عنها .. ومحاولتك لرؤيتها .. فإن هذا يدل على أنك قد فتنت بها .. وربما تكون قد أحببتها .

ـ أحببتها !

ضحك (فؤاد) قائلاً :

ـ نعم .. على طريقة الفنانين الذين يقعون فى هوى ملهماتهم .

وتوقف عن الضحك قائلاً :

ـ على أية حال .. إننى أمزح معك فقط .

قال (طارق) لنفسه وقد شرد بأفكاره :

ـ من يدرى ؟ ربما ما تظنه مزاحًا يكون هو الحقيقة ذاتها دون أن أدرى أنا نفسى بذلك .

★ ★ ★

٧ ـ السقوط فى الحب ..

كانت السهرة التى دعا إليها الدكتور (رءوف) كلاً من زوجة عمه وابنتها ، فرصة مناسبة لـ (عزت الوسيمى) كى يلتقى بـ (سماح) مرة أخرى .. وذلك بعد أن وجه إليه صديقه دعوة مماثلة .

ويمكن أن يقال إن الأمر كله كان مرتبًا لكى يتم هذا اللقاء .. الذى أراد (رءوف) من ورائه توطيد أواصر الصلة بين (عزت) وكل من (سماح) وأمها .

وبالطبع كان (عزت) مرحبًا ومتحمسًا لهذا اللقاء .. بعد أن استحوذت (سماح) على أفكاره ومشاعره خلال الأيام الماضية .

إن الأمر لم يعد بالنسبة له مجرد زواج مصلحة يسعى إليه لتحسين أوضاعه المالية المتدهورة .

بل يبدو أن لقاءه بـ (سماح) قد أحدث انقلابًا حقيقيًا فى نفسه ، وأنه قد وقع فى غرامها بالفعل .

لقد كانت الأيام الماضية مختلفة تمامًا بالنسبة له عما سواها .

وبدا أحيانًا وكأنه يسخر من نفسه .. فطالما أنكر الحب واستخف بكل ما يقال عنه .. وما يصوره المحبون من مشاعر .

لكن ها هو ذا قد وقع فى الحب منذ النظرة الأولى ، كما لو كان فتى مراهقًا لم تقع عيناه على فتاة من قبل .

وهو الذى خبر الحياة .. ولديه رصيد كبير من التجارب .

لكن من يدرى ؟ ربما يتعين عليه أن ينظر الآن إلى الحياة نظرة أخرى .

إنه واثق أن زواجه من هذه الفتاة سيحدث اختلافًا كبيرًا فى حياته .. وأنه سيكون اختلافًا إلى الأفضل .

لذا فهو متمسك بالزواج منها .. وتذليل أى عقبة تقف فى طريق ذلك .

وكان (عزت) قد فرغ من فوره من إنهاء بعض

الأعمال المهمة الخاصة بشركته .. وتأهب لمغادرة مكتبه .. والعودة إلى المنزل لارتداء ثياب السهرة .. والذهاب لتلبية دعوة العشاء التى وجهها له (رءوف) .. ومقابلة (سماح) .

لكن فى الحظة التى استعد فيها لمغادرة المكتب ، سمع طرقًا على الباب .

وما لبث أن دخل مدير أعماله حاملاً معه أحد الملفات .. نظر إليه (عزت) قائلاً :

- هل هناك شىء يا (صلاح) ؟

أجابه الرجل قائلاً :

- نعم .. لقد أردت أن آخذ رأيك أولاً .. بخصوص أحد موظفى الشركة .. قبل أن أحيله إلى النيابة .

تطلع إليه (عزت) بدهشة قائلاً :

- النيابة .. لماذا ؟ ما الذى فعله هذا الموظف ؟

- لقد اختلس جزءًا من أموال الشركة على فترات متتالية ، خلال الفترة الأخيرة .. ولم نكتشف ذلك إلا مؤخرًا .

نظر إليه (عزت) بغضب قائلاً :

ـ اختلس ! وماذا يفعل قسم الحسابات فى الشركة ؟

قال له (صلاح) :

ـ إنه يعمل فى هذا القسم .. وبالتحديد يتولى أمانة الخزنة فى الشركة .

ـ إذن .. ما الذى تنتظره ؟ هل يحتاج هذا الأمر أن تحصل على إذن منى ؟ إنه لص .. لماذا لاتحيله إلى النيابة على الفور ؟

ـ هذا ما فكرت أن أفعله بالفعل .. لكننى رأيت أن أعرض عليك الأمر أولاً .. خاصة أن هذا الشخص قد عين فى الشركة عن طريق سيادتك .

نظر (عزت) إليه بتساؤل قائلاً :

ـ عن طريقى أنا ؟

قال مدير أعماله وهو يقدم له الملف الذى أحضره معه :

ـ نعم .. لقد أحضرت ملف خدمته لسيادتك ..

تناول (عزت) الملف ليطلع عليه ، وقد اعتراه إحساس بالدهشة لدى قراءة الاسم المسجل على غلاف الملف : (إبراهيم عبد العليم العطيفى) .

نعم .. إنه يذكر ذلك الاسم جيدًا .. فهو ابن الحاج (عبد العليم) .. الرجل الذى خدم والده وخدمه بكل أمانة وإخلاص .. قبل أن يعتزل العمل ، ويستقر فى بلدته الريفية ليقضى بها السنوات القليلة المتبقية من عمره .

وهو نفسه الذى قام بخدمته خلال فترة الأزمة النفسية التى عاشها بعد وفاة أمه .. وتولى شئونه هو وابنه فى أثناء اعتزاله الحياة والعمل ، واعتكافه فى ذلك المنزل الذى لجأ إليه فى تلك البلدة .

كما كان أمينًا على حفظ سره ومقدرًا لمعاناته النفسية فى أثناء إقامته فى ذلك المنزل ، وظل مخلصًا له كما كان مخلصًا له فى عمله فى منزلهم من قبل .. وكما كان مخلصًا لأبيه قبل وفاته ..

لذا فقد كان أقل ما يفعله معه هو أن يحقق له رغبته ، ويعين ابنه لديه فى الشركة .. بعد أن تخلص من حالته النفسية وعاد لحياته الأولى .

وفى الحقيقة فقد بدا له ذلك الشاب مخلصًا وأمينًا تمامًا على النحو الذى كان عليه أبوه .. ولم يتصور مطلقًا أن يصدر مثل هذا التصرف منه .

وأسند ذقنه إلى قبضتيه ، وهو يحدق فى الملف الموضوع أمامه على المكتب .. متسائلاً :

والآن .. ماذا يفعل ؟ لقد اختلس جزءًا من أموال الشركة .. وهذا يعنى أنه لص وغير أمين على عمله ..

هل يخطر النيابة للتحقيق معه ؟ أم يكتفى بطرده من الشركة ؟ لقد أوصاه أبوه عليه قبل موته .. وطلب منه رعايته والاهتمام به إكرامًا لخاطره .

لكنه لايستطيع أن يتهاون فى أمر كهذا .

رفع عينيه عن الملف لينظر إلى مدير أعماله قائلاً :

ـ ما هى قيمة المبلغ الذى اختلسه من أموال الشركة ؟

أجابه قائلاً :

ـ أربعة آلاف جنيه .

ـ وماذا يفعل رئيس الحسابات ؟ كيف تمكن من أخذ هذا المبلغ طوال هذه الفترة الطويلة دون أن يتبين أمره ؟

ـ كان لابد من أن يتبين ذلك بعد القيام بالجرد السنوى .

ـ إذن .. كيف تم اكتشاف الأمر ما دام الجرد لم يتم بعد ؟

ـ فى الحقيقة .. لقد اعترف بنفسه أنه قد أخذ هذا المبلغ من الخزنة .. وطلب منى أن أسألك إذا ماكنت تسمح له بأن يرده على أقساط من مرتبه .

نظر إليه (عزت) بدهشة قائلاً :

ـ هو الذى اعترف ؟

ـ نعم .

ـ هل حدث منه تصرف مماثل من قبل ؟

ـ كلا يافندم .. فى الواقع منذ تعيينه فى الشركة لم يرتكب حتى أى خطأ إدارى بسيط .. وتقاريره دائمًا ممتازة .. وكان دائمًا موضع ثقة وأمانة .

- إذن .. ما الذى جعله يقدم على ارتكاب عمل كهذا ؟

- ربما كان يمر بأزمة مادية .. دفعته إلى القيام بهذا العمل .

ظل (عزت) صامتًا لبرهة من الوقت ، وهو يفكر وقد ارتسمت على وجهه معالم الحيرة .

حتى اضطر مدير أعماله لأن يقطع هذا الصمت قائلاً :

- والآن .. ماذا قلت يا (عزت بك) .. هل أقدمه للنيابة ؟

اشاح (عزت) بيده قائلاً :

- كلا .. لاداعى لذلك .

- إذن هل تكتفى بطرده ؟

عاد (عزت) للتفكير فى الأمر مرة أخرى وهو يلوذ بالصمت .

ثم ما لبث أن قال له بهدوء :

- لاداعى لذلك أيضًا .. فقط أنقله إلى أى عمل آخر بعيدًا عن الأمور المالية .. وبعد أن يتم جرد عهدته بالكامل .

واطلب من الحسابات أن يخصموا ربع راتبه بصفة شهرية حتى يوفى المبلغ الذى اختلسه .

صمت مدير أعماله وهو ينظر إليه بدهشة ، كما لو كان قد أدهشه هذا القرار .

بينما استطرد (عزت) قائلاً :

- سوف أتحدث إليه بشأن ما ارتكبه فيما بعد بنفسى .

قال له مدير أعماله معقبًا :

- لو سمحت لى يا (عزت بك) .. إن مثل هذا التصرف قد يشجع الآخرين على ارتكاب أفعال مماثلة .

وإننى برغم تقديرى لكرمك وعطفك ، أرى أنه من الأفضل أن تفصله من العمل على الأقل .. بعد أن فقد الثقة التى أوليتها إياه . حتى يكون عبرة لغيره .

قال له (عزت) بهدوء :

ـ افعل ما قلت لك .. ودعنى أتصرف فى هذا الأمر بنفسى .

أومأ الرجل برأسه قائلاً :

ـ أمرك يا (عزت بك) .

وما إن انصرف مدير أعماله ، حتى أسرع لسيارته يستقلها متجهًا إلى المنزل .. وقد نسى كل شيء إلا ذلك اللقاء المرتقب الذى سيجمع بينه وبين (سماح) بعد ساعات قليلة .

★ ★ ★



٨ ـ دعونى أختار حياتى ..

نظر (عزت) إلى ساعته فى قلق قائلاً للدكتور (رءوف) :

ـ هل أكدت عليهما فى الحضور ؟

ـ نعم .

ـ إذن .. لماذا لم يحضرا حتى الآن ؟

ابتسم (رءوف) قائلاً :

ـ لا تقلق .. أنت تعرف السيدات .. لابد أنهما فى طريقهما إلى هنا الآن .

ـ كان يتعين عليك أن تمر على الفيلا لتصحبهما فى سيارتك إلى هنا .. أو تدعنى أنا أفعل ذلك .

ـ أنت تعرف أننى كنت مشغولاً بافتتاح العيادة الجديدة .. ثم ما حاجتهما إلى سيارتك ولديها ثلاث سيارات ؟ لا تكن خفيفًا هكذا .

وما لبث أن نظر تجاه الباب قائلاً :

ـ ها هما ذان قد جاءا .

ونهضا لاستقبالهما حيث تحدث (رءوف) ، قائلاً لزوجة عمه :

ـ يسرنى حضوركما وتلبية دعوتى المتواضعة .

قالت له زوجة عمـه :

ـ ما كان يمكننا أن نتأخر عن تلبية دعوة كهذه .. خاصة أنها جاءت بمناسبة افتتاح عيادتك الجديدة.

ـ أشكرك يا (ألفت هانم) .

وصافحهما (عزت) بدوره قائلاً ، وهو ينظر إلـى عين (سماح) تلك النظـرة التى لم تسترح لهـا من قبل :

ـ لقد شعرنا بالقلق لتأخركما .

قالت السيدة وهى تستعد للجلوس :

ـ آسفة إذا كنا قد تأخرنا عليكما .. ولكن (سماح) ألم بها صداع مفاجئ قبل أن تستعد لمغادرة الفيلا .

ـ يؤسفنى سماع ذلك .

ونظر إلى (سماح) قائلاً :

ـ أما زال هذا الصداع مستمرًا ؟

قالت وهى تحاول أن تبعد نظراتها عنه :

ـ نعم .. لقد تحسن الأمر ..

سألها (رءوف) باهتمام قائلاً :

ـ حقًا ؟

ابتسمت لـ (رءوف) قائلة :

ـ إنه كان صداعًا هينًا لا يستحق الذكر .

تحدثت السيدة إلى (رءوف) قائلة :

ـ ولكن قل لى .. ألـم يكن مـن الأفضـل بدلاً مـن هذه الدعوة للعشاء أن تطلعنا على عيادتك الجديدة ؟

ابتسم (رءوف) قائلاً :

ـ هذا ما سوف يحدث بالفعل .. فبعد أن ننتهى مـن العشاء سنذهب معًا جميعًا لرؤية العيادة الجديدة .

قالت (سماح) :

- مبروك يا دكتور (رءوف) .

نظرت الأم إلى (رءوف) قائلة بنبرة ذات مغزى :

- أظن لم يعد باقيًا الآن سوى العروس يا دكتور (رءوف) .. أليس كذلك ؟

قال لها (رءوف) متحرجًا :

- طبعًا .. طبعًا .

قالت الأم دون أن تعبأ بحرجه :

- أرجو أن يكون ذلك قريبًا .

قال وقد ازداد حرجه :

- إن شاء اللَّه ..

والتفتت إلى (عزت) قائلة :

- وأنت يا (عزت بك) ؟ لقد علمت من دكتور (رءوف) أنك لم تتزوج بعد .

- فى الحقيقة لم يسعدنى الحظ بمقابلة الفتاة المناسبة للزواج من قبل .

ابتسمت الأم قائلة :

- لا أظن أنك قد حاولت البحث عن هذه الفتاة بصورة جدية .. ولابد أنك ممن يهابون تحمل مسئولية الزواج مثل صديقك الدكتور (رءوف) .

لا أعنى بالطبع المسائل المادية .. فرجل أعمال ثرى ومعروف مثلك لايمثل ذلك بالنسبة له أدنى مشكلة .. ولكنى أعنى المسألة النفسية .. الخوف من قيود الزواج ومشاكله ، أليس كذلك ؟

ابتسم لها قائلاً :

- بلى .. هذا صحيح .

حدجته الأم بنظرة فاحصة قائلة :

- ألا ترى أن فى هذا قدرًا من المبالغة ؟ فهناك رجال أعمال ناجحون ومتزوجون أيضًا .

قال لها موافقًا :

- معك حق يا (ألفت هانم) .

استمرت فى حديثها قائلة :

- أظن أنه قد آن الأوان بالنسبة لك للبحث عن الزوجة المناسبة قبل أن يجرى بك العمر .

قال (عزت) وهو ينظر بطرف خفى إلى (سماح) :

- أعتقد أننى قد وجدتها .

ابتسمت فى سرور قائلة :

- حقًا ؟ إنه خبر سار .. ترى من هى؟

- سأخبرك عنها فى الوقت المناسب .

ضحكت الأم قائلة :

- سأكون سعيدة لو عرفتنى عليها .

ثم التفتت إلى (رءوف) قائلة :

- وأنت يا (رءوف) .. أعتقد أنه يتعين عليك الإسراع باتخاذ خطوة حاسمة بهذا الشأن .

حاول (رءوف) التهرب من هذه المواجهة الحرجة قائلاً :

- والآن .. ماذا تطلبون للعشاء ؟

تدخل (عزت) فى الحديث قائلاً :

- اسمح لى أن تكون هذه الدعوة على حسابى يا (رءوف) :

- لا يمكن .. أنا الذى دعوتكم .

- لا فرق بيننا .. ثم إنه أقل شىء أقدمه لصديق عزيز فى مناسبة كهذه .

لكن محاولة (رءوف) للهروب من الموقف ، لم تفلح مع زوجة عمه التى أصرت على الاستمرار فى الحديث الذى بدأته قائلة لـ (عزت):

- ألم يخبرك الدكتور (رءوف) بأمر خطبته لـ (سماح) ؟

ارتبك كلا الرجلين دون أن يعقب أحدهما بكلمة .. بينما اكتسى وجه (سماح) بمزيج من حمرة الخجل والغضب ، الذى بدا واضحًا فى صوتها وهى تنبه أمها قائلة :

- (ماما) !

قالت لها أمها دون أن تعبأ بغضبها :

- وماذا فى ذلك ؟ من الواضح أن الأستاذ (عزت) صديق حميم لابن عمك .. ومن حقه أن يعرف ذلك .

قال (عزت) وقد انتابه إحساس بالضيق :

- فى الحقيقة .. لم أكن أعرف ذلك .

نظرت الأم إلى (رءوف) بعتاب قائلة :

- كيف لم تخبر صديقك بهذا الأمر يا (رءوف) ؟

تلعثم (رءوف) وقد تعثرت الكلمات فى فمه ، وهو يحاول أن يجد ردًّا مناسبًا قائلاً :

- فى الحقيقة .. أنا .. إننى ..

لكن (سماح) تدخلت فى الحديث قائلة بنبرة حازمة :

- فى الحقيقة ليس هناك أى ارتباط رسمى بينى وبين (رءوف) .. فالعلاقة بيننا ليست سوى علاقة قرابة فقط .

قالت الأم وهى ترمق ابنتها بنظرة غاضبة :

لكنكما فى حكم المخطوبين .

فى هذه اللحظة حضر النادل ليسألهما عما يطلبون للعشاء .. فوجدها (عزت) فرصة مناسبة لإنهاء هذا الحديث قائلاً :

- أظن أنه يتعين علينا أن نطلب العشاء أولاً .

انصرف النادل لإحضار الطعام المطلوب .. لكن الأم لم ترغب فى أن ينقضى الموقف عند هذا الحد دون حسم .

فدنت برأسها من (رءوف) قائلة بصوت خافت :

- اسمع يا (رءوف) .. أريد منك أن تحضر إلى منزلى غدًا .. أريد أن أتحدث معك حديثًا جديًّا لحسم الأمر .

قال لها (رءوف) مرتبكًا :

- حاضر .

قالت له مؤكدة :

- أرجو ألا تتخلف عن الحضور .

حاول (عزت) أن يتقرب لـ (سماحٍ) بقية السهرة .. فأخذ يكثر من الحديث إليها محاولاً استمالتها .

لكنها لم تكن متجاوبة مع حديثه بالقدر الكافى ..

كانت تلوح على ثغرها ابتسامة خفيفة ، دون أن تتحدث إلا قليلاً وحين تضطر لذلك .

لكنه ظل يتفرس فيها بنظراته ، دون أن يعبأ بعدم تجاوبها وعدم اكتراثها .

وأدهشها أنه لم يكن حتى يعبأ بوجود أمها وابن عمها الذى هو صديقه معهما .

وأخيرًا التفت إلى أمها قائلاً :

- أين ستقضون فترة الصيف هذا العام يا (أُلفت هانم) ؟

قالت له الأم بشىء من التكلف :

- فى الحقيقة لم أستقر على شىء بعد .. إننى ألح على (سماح) لقضائه خارج مصر .. لكنها ترفض السفر إلى الخارج .

قال (عزت) :

- معها حق .. إن مصر تحوى أجمل المصايف العالمية .. فلماذا السفر الى الخارج ؟

ثم أردف قائلاً :

- على أية حال .. إن فيلتى فى (العجمى) تحت أمركم منذ الآن .

قالت الأم:

إننى لا أميل للإقامة فى (الإسكندرية) فترة الصيف .. فقد أصبحت مزدحمة للغاية .. ولاتحقق للمرء الراحة والاستجمام الذى ينشده .

قال لها (رءوف) :

- إذن .. مارأيك فى الغردقة ؟ أو العريش أو طابا ؟

قالت الأم بكلفة متصنعة .. كأنما تتعمد أن تكشف عن ثراء ابنتها :

- أعتقد أن (سماح) تفضل قضاء الصيف فى فيلتها بقرية (مراقيا) السياحية .. فهى تستريح للاصطياف هناك .. أليس كذلك يا (سماح) ؟

قالت (سماح) متبرمة وقد أحست بعدم الارتياح للبقاء أكثر من ذلك :

ـ كما ترغبين يا أمى .

قال (عزت) معقبًا :

ـ عظيم ! إن لى فيلا صغيرة هناك .. وإننى ألجأ إليها أحيانًا من آن لآخر هربًا من أعباء العمل .

ـ هذا يعنى أننا من الممكن أن نلتقى هناك .

ـ بالطبع .

ثم تحول بنظراته إلى (سماح) قائلاً :

ـ سأكون سعيدًا لو أتيحت لى الفرصة لذلك .

* * *

انتهت السهرة وعادت الأم مع ابنتها إلى منزلهما حيث تحدثت الأم إلى (سماح) قائلة :

ـ يبدو أن (عزت) هذا ثرى للغاية بالفعل .. فيلا فى العجمى وأخرى فى (مراقيا) .. وربما فى أماكن أخرى .

قالت (سماح) معقبة :

ـ إننى لا أستريح لهذا الرجل .. ولا أدرى .. لماذا يصر (رءوف) على أن يفرضه علينا فى الآونة الأخيرة .

ـ إننى لا أدرى ما الذى يجعلك لا تستريحين إليه .. برغم أنه يبدو لطيفًا ودودًا للغاية ؟

ـ لا أعرف .. شىء ما ينفرنى منه .

اقتربت أمها منها وهى تبتسم قائلة :

ـ مع أننى أرى أنه يميل إليك كثيرًا .

قالت (سماح) باستنكار :

ـ يميل إلىّ ؟ كيف أمكنك الحكم بذلك ؟

هل تظنين أننى لم ألحظ نظراته ، ومحاولته للتودد إليك طوال السهرة .. بل منذ أن حضر عيد ميلادك ؟

ـ إن نظراته لى تبدو وقحة أحيانًا .

ـ أنت التى تبدين معقدة أحيانًا .

نظرت (سماح) إليها بغضب قائلة :

ـ ماذا تقصدين بذلك ؟

- إنك تتعاملين مع الرجال كما لو كانوا حيوانات ضارية تنوى التهامك .

قالت (سماح) بعصبية واضحة :

- إن هذا الرجل يشبه أحد الحيوانات الضارية التى تتحدثين عنها .

- إنه شاب ثرى .. ووسيم .. ومحترم .. ويبدو من عائلة كبيرة .. ماذا ترغب الفتاة فى أكثر من ذلك ؟

- ماذا تعنين بتلميحاتك هذه ؟

- أعنى .. أنه يبدو زوجًا مناسبًا .

ضحكت (سماح) بسخرية قائلة :

- كنت أظن أنك تصرين على الدكتور (رءوف) .

قالت الأم بحزم :

- إننى فى انتظار أن أسمع كلمة (رءوف) الأخيرة .

- كيف ؟ بإحراجه كما فعلت منذ بضع ساعات وإحراجى أنا أيضًا ؟

- لقد قلت لك من قبل إنك لن تبقى فى انتظار (رءوف) إلى الأبد .. إننى أفضله على من سواه .. لكن إذا لم يحسم أمر زواجه منك .. فلا بأس من أن تقترنى بشخص مثل (عزت) .

قالت (سماح) بإصرار :

- إننى لن أقترن بهذا الشخص مهما حدث .

- أنت صغيرة وحمقاء .. ولاخبرة لك بالحياة .. دعينى أنا أتول هذا الأمر .. وتأكدى أننى أعمل لمصلحتك .

قالت (سماح) متهكمة وهى تنظر إليها :

- إننى أرى أبى يتحدث مرة أخرى .. ولكن بأسلوب مختلف .

قالت الأم وهى تحيطها بذراعها :

- اسمعى يا بنيتى .. إننى ....

لكن (سماح) قاطعتها قائلة :

- أرجوك يا أمى .. إننى متعبة وأريد أن أنام .

* * *

٩ ـ الماضى المجهول ..

بدا (رءوف) مهمومًا وهو يسير بصحبة صديقه ، بعد أن غادرا السيارة مفضلين التريض على قدميهما ..

نظر إليه (عزت) متسائلاً :

ـ ماذا بك ؟

قال له (رءوف) شاردًا :

ـ إننى أفكر فيما يتعين على أن أقوله أو أفعله .

ـ تقوله أو تفعله بأى شأن ؟

ـ ألم تر وتسمع بنفسك ماقالته زوجة عمى .. وتلك الدعوة التى وجهتها لى لمقابلتها على انفراد غدًا ؟

ـ وما الذى يقلقك بهذا الشأن ؟

ـ من الواضح أنها تريد أن تحرجنى بشأن هذه الخطبة المزعومة .. وتطلب منى تحديد موقفى بصورة جدية .

ـ يمكنك أن تواجه الموقف بشجاعة .. وتحدد موقفك لها بصورة نهائية .

ـ كيف ؟ لقد شرحت لك الأمر من قبل .

ـ لكن كما أرى فإن موقفك واضح .. ولا يحتاج تحديدًا أكثر من ذلك .. وموقف ابنة عمك أيضًا من هذا الزواج .

ـ المشكلة .. أن (ألفت هانم) هى الوحيدة التى لاترى الموقف بنفس الوضوح .

أو ربما هى مدركة تمامًا أننى غير مستعد لهذا الارتباط لكنها تتعمد إحراجى .

سأله (عزت) باهتمام قائلاً :

ـ هل أنت واثق أنك لاترغب فى الزواج من (سماح) ؟

قال له (رءوف) بضيق :

ـ يا أخى .. ألاتفهم ؟ لقد أوضحت لك من قبل أن شعورى تجاه (سماح) هو شعور الأخ نحو أخته ..

وإحساسه بالمسئولية تجاهها .. ولا يمكن أن يذهب تفكيرى نحوها إلى أكثر من ذلك .

ثم .. هل نسيت أننى متزوج .. وأننى أحب زوجتى ؟

قال (عزت) وقد بدا عليه الارتياح :

ـ لقد أردت أن أتأكد من ذلك .. فأنت تعرف أننى قد أصبحت الآن متيمًا بها .

ـ لكنك لم تخبرنى حتى الآن عما يتعين علىّ أن أفعله .

ـ أستطيع أن أذهب بدلاً منك غدًا .. وأطلبها للزواج .

ـ قلت لك .. لاتكن متسرعًا .. لابد من التريث بهذا الشأن .. خاصة وقد لاحظت أن (سماح) ليست شديدة الميل إليك .

ـ أتعتقد أنها قد ترفضنى ؟

ـ بهذه الطريقة .. نعم .. سترفضك .. لكن مع الوقت وباستمرار محاولتك للتقرب إليها وكسب ودها .. أظن أنها ستوافق على الاقتران بك فى النهاية .

ـ وكيف أخلق الفرص المناسبة لحدوث هذا التقرب والود ؟ خاصة أنها تبدو حازمة ومتزمتة بعض الشىء .. وغالبًا لا تذهب إلى مكان إلا بصحبة أمها .. كما لو كانت طفلة صغيرة بحاجة إلى رعاية .

ابتسم (رءوف) قائلاً :

ـ ألم أقل لك إن (سماح) مختلفة عن غيرها من الفتيات ؟ لقد عاشت دائمًا فى ظل أبيها وأمها .. حتى أصبحت تعتمد عليهما اعتمادًا كاملاً .

إنها مليونيرة .. لكنها لاتشعر بذلك .. ويمكنها أن تفعل بثروتها كل ما تشتهى نفسها .. لكنها لاتستطيع الإقدام على أى تصرف دون استشارة أمها .. بعد أن كان أبوها هو الذى يتولى قيادة الأمور بالنسبة لها قبل وفاته .

امتلأت نفس (عزت) سرورًا لدى سماعه لذلك .

ففتاة من هذا النوع عديمة الخبرة بالحياة .. لديها ثروة لا تعرف كيف تديرها ، تحتاج دائمًا إلى الاعتماد على الآخرين لتنظيم أمورها .. يسهل

قيادها .. ولن تسبب له الكثير من المتاعب بعد الزواج .. لاستخدام ثروتها الاستخدام الأمثل لصالحه .. فلابد أن المسئولية ستنتقل إليه بعد الزواج ، وستضطر للاعتماد عليه .. كما اعتادت أن تفعل مع أبيها وأمها .

تنبه (عزت) من شروده على صوت (رءوف) وهو يتحدث إليه قائلاً :

- على أية حال .. إن قضاء فترة من الصيف فى (مراقيا) بصحبتهما ، ستكون فرصة مناسبة للتودد إلى (سماح) .

- لكنى لا أمتلك فيلا فى (مراقيا) كما أخبرتهما .

- كيف ؟ لقد قلت ....

قاطعه (عزت) قائلاً :

- دعك مما قلته .. لقد كنت أبحث عن أية وسيلة للتقرب إلى ابنة عمك دون أن أبدو متطفلاً .. لذا فقد ادعيت أننى امتلك تلك الفيلا فى القرية السياحية .. حتى أجد سببًا للتلاقى .. ولمزيد من الحديث على الشاطئ والتقارب كما قلت .

- وكيف ستفسر عدم وجود هذه الفيلا المزعومة إذن ؟

- لن تكون هناك مشكلة .. يمكننى استئجارها .. أو حتى شراؤها لو لزم الأمر .. أعطنى أنت فقط عنوانهما هناك ..

ولم يشأ أن يعرف (رءوف) أنه لم يعد يمتلك فى المرحلة الحالية السيولة الكافية لشراء مثل هذه الفيلا ، وأن أقصى ما يستطيعه هو أن يستأجرها ، أو يحاول شراءها بالتقسيط .

- لم تقل لى بعد .. ما الذى أفعله بشأن مقابلة الغد ؟

- لا تذهب لمقابلة زوجة عمك .

- لكنها .. ألحت علىَّ بالحضور .

- يمكنك أن تدعى المرض .. أو تسافر إلى أى مكان مؤقتًا .. إن هذا سينقذك من الحرج .. وأعتقد أنها ستفهم وتقدر موقفك .

ـ بل أنا واثق أنها ستغضب غضبًا كبيرًا وتؤلب علىّ العائلة بأكملها .

ابتسم (عزت) قائلاً :

ـ لا أظن أن غضبها منك سيستمر طويلاً .. وسوف ينتهى الأمر بالنسبة لك عند ما أتقدم للزواج من ابنتها .

ابتسم (رءوف) قائلاً :

ـ أحيانًا .. تعجبنى ثقتك بنفسك .

ـ إن الثقة بالنفس مطلوبة لمواجهة كل المواقف الصعبة .. ولولا ذلك لم أكن لأصبح رجل أعمال ناجحًا ..

★ ★ ★

استعد (عزت) لدخول منزله بعد أن وضع السيارة فى الجراج الخلفى للفيلا .. واجتاز الحديقة متجهًا نحو الباب الداخلى ..

لكنه ما لبث أن توقف فجأة ، وقد شعر بيد توضع

على ذراعه ، وصوت واهن لامرأة تتحدث إليه .. قائلة :

ـ (عزت) .. (عزت) .. هأنذا وجدتك أخيرًا .

التفت بارتياع لينظر إلى صاحبة الصوت قائلاً بتلقائية :

ـ (ناهد) !

كان القمر منيرًا وقد اكتملت استدارته .. وتوجد بعض الأضواء الخافتة فى الحديقة .. فاستطاع أن يتبينها .

أرسل إليها نظرة قصيرة .. ليرى كيف أنها صارت نحيلة شاحبة الوجه .. وقد ارتدت ثيابًا رثة تشير إلى فقرها . وكانت تحمل طفلاً بين ذراعيها ..

هزته المفاجأة .. لكنه استطاع أن يستعيد رباطة جأشه وأن يسيطر على انفعالاته .. قائلاً ببرود :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

انقضت برهة قصيرة من الوقت .. بدت خلالها

وقد صدمت لهذا الرد .. ومن جراء هذا البرود الذى استقبلها بـه .. ثـم مـا لبثـت أن قـالت وعيناهـا لاتصدقان كلماته :

ـ (عزت) .. أنا (ناهد) زوجتك .. لقد بحثت عنك زمنًا طويلاً .. وكنت أنتظر هذه اللحظة التى نلتقى فيها .. طوال السنين الماضية .

قال لها دون أن تهتز مشاعره :

ـ لقد انقطعت صلتى بك منذ فترة طويلة .. ولم نعد زوجين الآن .

قالت وهى ترتجف من قسوة رده :

ـ لكنك لم تعلمنى بذلك .

رد عليها بجفاء قائلاً :

ـ الأمر لم يكن بحاجة إلى إعلام .. إن ما بيننا كان مجرد ورقة عرفية .. وقد مزقتها .

ـ هل هذا هو كل ما كان بيننا ؟

ـ كان يتعين عليك أن تفهمى ذلك .. منذ أن غادرت بورسعيد .

قالت له بأسى :

ـ كل ما جعلتنى أفهمه حينما تزوجنا هو أنك تحبنى .. وأنك ستعوضنى عن البؤس والشقاء الذى عرفته من قبل .

وقد قدمت لك كل الحب والإخلاص .. خلال الفترة التى عشتها معك .. وعملت على راحتك وإسعادك كخادمة مطيعة .. وكانت الشهور التى قضيتها معك هى أسعد ما عشته طوال حياتى .. إلى أن استيقظت ذات يوم فلم أجدك معى .

رحلت فجأة دون أن تخبرنى عن السبب ، وعما إذا كنت قد ارتكبت أى خطأ أغضبك أم لا ؟

ودون أن أعرف كيف يمكننى أن أستدل عليك .. لأنك لم تسمح لى أن أعرف أى شىء عنك .. عن الرجل الذى تزوجته .

ـ كانت فترة من حياتى وانقضت .. وأعتقد أننى قد تركت لك مبلغًا مناسبًا .

ـ مبلغًا مناسبًا ! وكأنه أجر فتاة التقطتها من الشارع

لتصادقك وتدخل البهجة على نفسك .. وليس لزوجة كان من المفترض أن تعيش معك العمر كله .

قال لها بقسوة :

ـ هل جننت ؟ أليست لك عينان ؟ ألا ترين الفارق الكبير بينى وبينك ؟ إننى هنا رجل أعمال معروف له مركزه وسمعته .. لكن من تكونين أنت ؟

قالت له وقد أغرورقت عيناها بالعبرات :

ـ فلاحة فقيرة .. اضطرها الزمن للعمل كخادمة فى البلدة التى التقطتها منها .

قال لها بازدراء :

ـ الحمد لله أنك تعرفين ذلك .

قالت بانفعال ممزوج بالألم :

ـ ولكن .. ألم تكن تعرف أنت أيضًا ذلك عندما تزوجتنى ؟

ـ كنت أمر بظروف نفسية غير سليمة وقتها .

ـ لكن تلك الظروف لم تسلبك إرادتك تمامًا .. عندما طلبت منى الزواج .

قال لها بنفاد صبر :

ـ قلت لك .. إنها مرحلة .. وانتهت من حياتى .. إننى لا أريد حتى أن أتذكرها .. والآن .. ماذا تريدين ؟

أشارت إلى الطفل الذى كان يبدو نائمًا .. قائلة :

ـ أريدك أن تعتنى بابنك .

نظر إليها وإلى الطفل بدهشة قائلاً :

ـ ابنى ؟!

* * *



١٠ـ الحلم الضائع ..

قالت (ناهد) :

ـ نعم .. لقد تركتنى وأنا حامل فيه .

ظل صامتًا وهو يحدق فيها وفى الطفل بوجوم .

وما لبثت أن رفعت الطفل إليه قائلة :

ـ انظر يا (عزت) .. إنه طفلك .. إنه بحاجة إليك .. إنه يحتاج إليك الآن أكثر من احتياجه إلىّ .

قال لها وهو يحاول أن يتمالك نفسه :

ـ ما هذا الهراء ؟ أتنتظرين منى أن أصدق أن هذا الطفل هو ابنى ؟

قالت له وقد اتسعت حدقتاها :

ـ لاتصدق .. إذن من هذا ؟

ـ لاأعرف .. لكن لاتعتقدى أننى من الغباء بحيث

تعودين إلىّ بعد أربع سنوات .. حاملة طفلاً على ذراعيك لتخبرينى أنه ابنى .

صاحت فى وجهه قائلة :

ـ انظر إليه جيدًا .. إنه ابنك .. لقد رحلت عنى وأنا حامل فى الشهر الأول به .

ـ اسمعى .. إن هذه الحيلة لن تجدى معى .. إذا كنت بحاجة إلى نقود .. فيمكننى أن أعطيك مبلغًا من المال لتدبرى به أمرك .. لكنى لا أريد أن تأتى إلى هنا مرة أخرى .

نظرت (ناهد) إليه وهى لاتصدق أن هذا الرجل الذى عرفته وأحبته وتزوجته يومًا ما .. وكان يعاملها بكل الود والحب ، هو نفس الرجل الواقف أمامها ، ويعاملها بهذه القسوة والجحود .

إنه شخص مختلف تمامًا .. شخص يخلو من أى مشاعر أو عاطفة .

ربما تصورت أنه قاس بالفعل عندما هجرها فجأة بلا ذنب ارتكبته ، ولم يحاول أن يسأل عنها طوال هذه السنين .

وربما دار ببالها أن تلقى مقابلة كهذه من رجل لفظها من حياته ، لكن لم تكن تظن مطلقًا أنه سيكون قاسيًا إلى هذا الحد ، وأن مشاعره مهما كانت متحجرة ستصمد أمام رؤيته لابنه الذى لم تتح له فرصة رؤيته مطلقًا .

كانت تتوقع منه أن يفتح ذراعيه ليحتضن الطفل ويضمه إليه بحرارة ، وهو يمطره بالقبلات بعد أن يخضع لعاطفة الأبوة ، التى يخضع لها أى أب حرم من ابنه سنين طويلة .

لكنه يرفض أن يصدق حتى أن هذا الطفل هو ابنه .

أو ربما يتعمد ذلك .. حتى لايكون هناك أى شىء يربطه بها وبماضيه معها .

إنها الآن لاتهتم لشىء فى الوجود اللهم إلا لهذا الطفل الذى تحمله بين ذراعيها .

إنه أعز لديها من الحياة نفسها .. فقد كافحت من أجله الفقر والمرض كفاحًا طويلاً ومريرًا .

وكانت تعلق آمالها على ذلك اللقاء لكى يتولى أبوه رعايته ورعايتها .

بالنسبة لها .. فقد عرفت موقفها تمامًا منه .. وهى مستسلمة لقدرها الذى شاء لها أن ترتبط برجل ينكرها .. برغم حبها له .. فقد عاشت أعوامًا طويلة من عمرها تعانى قسوة وجحود البشر .. و(عزت) لايختلف عنهم كثيرًا .

لكن المهم هو الطفل .. إنها لاتريده أن يعانى فى الحياة مثلها . لقد جاءت لمقابلة (عزت) وهى مستعدة لأن تتخلى عن ابنها له .. لكى يتولى رعايته .. حتى لو أدى الأمر لأن تختفى من حياتهما تمامًا بعد ذلك .

فهى مريضة ومعدمة .. وكذلك طفلها .. وأبوه يستطيع أن يوفر له رعاية وعناية أفضل بكثير مما يمكن أن تقدمهما له ..

نظر إليها (عزت) باستعلاء قائلاً :

ـ أما زلت واقفة هنا ؟ لماذا لاتنصرفين ؟

قالت له بتوسل :

- أرجوك يا (عزت) .. لا تكن قاسيًا إلى هذا الحد .. إنه ابنك وهو مريض .. وبحاجة إليك وإلى رعايتك له .

قال لها وهو متمسك باستعلائه :

- (عزت بك) .. لا تنسى من تخاطبين .. وأنا ليس لى أبناء .

قالت له باكية :

- إننى مستعده لأن أدعه لك وأبتعد عن حياتك تمامًا .. لتتولى علاجه ورعايته بدلاً منى .. لكن أرجوك .. لا تتخل عنه حتى لا يلاقى نفس مصيرى .

نظر إليها للحظة .. ثم أطلق زفرة قصيرة .. وما لبث أن وضع يده فى جيبه ليخرج مبلغًا من المال قدمه لها .. قائلاً :

- خذى هذا المبلغ .. أعتقد أنه يفى باللازم .. والآن يمكنك أن تنصرفى .

صاحت فى وجهه قائلة :

- لا يا (عزت بك) .. أنا لم آت لأتسول منك .. لقد كنت زوجتك وهذا ابنك .. وكلانا له حقوق عليك .

قال لها بغضب :

- ليس لأحد أى حق علىّ .. هيا .. انصرفى .

قالت بانفعال :

إننى سأحصل على حقى وحق ابنى منك بالمحاكم والقانون .

- لتلجئى للمحاكم وللقانون كما تريدين .. فليس لديك شىء يثبت وجود أى صلة بينى وبينك .. أو بينى وبين هذا الطفل .

من الأفضل لك أن تقتنعى بهذا المبلغ .. وتنصرفى فى الحال قبل أن أطردك بالقوة .

قالت له وهى تنتحب :

- منك للَّه .. فلينتقم اللَّه لى منك ! منك للَّه يا (عزت) !

صاح وقد ازداد صوته علوًا وغضبًا :

- انصرفى من منزلى !

حضر حارس الفيلا مسرعًا لدى سماع صوته .. قائلاً :

- هل هناك شىء يا (عزت بك) ؟

التفت إليه (عزت) قائلاً :

- من سمح لهذه المرأة بالدخول إلى الفيلا ؟

قال له الرجل متلعثمًا :

- إنها .. لقد قالت لى .. إنها ..

قال له (عزت) محتدًا :

- دعها تغادر الفيلا على الفور .. وبعد ذلك سيكون لى معك حساب عسير لسماحك لها بالدخول دون إذن منى .

قال له الرجل مرتبكًا وهو يجذبها من ذراعها نحو بوابة الفيلا :

- آسف .. آسف جدًا يا (عزت بك) .

قال له وهو يصعد درجات السلم المؤدى إلى الداخل :

- إياك أن تسمح لها بالعودة إلى هنا مرة أخرى .

وما إن دلف إلى الداخل حتى أغلق الباب وراءه ، ووقف لبرهة من الوقت يستند إليه واضعًا يده خلف ظهره .

ولهث من شدة الانفعال وقد تقاطرت حبات من العرق على جبينه .

حيث وجد الخادم واقفًا فى الردهة ينظر إليه ، وقد لفت انتباهه انفعال سيده وصوته العالى .. الذى وصلت نبراته إلى الداخل .

وما لبث أن نظر (عزت) إليه قائلاً وهو مستمر فى انفعاله :

- إلى ماذا تنظر ؟ لماذا تقف محدقًا بى هكذا ؟

قال له الخادم :

- أبدًا يا سيدى .. لقد ظننت أنك تحتاج إلىّ فى شىء .

صاح (عزت) قائلاً :

ـ لو احتجت إليك سأناديك .. هيا اغرب أنت الآخر عن وجهى ..

أومأ الخادم برأسه واستدار عائدًا ، لكن (عزت) استوقفه قائلاً دون أن يتخلى عن غضبه :

ـ انتظر .. ألم آمرك بألا تسمح لهذه المرأة بالدخول إلى هنا ؟

سأله الخادم قائلاً :

ـ أى امرأة يا سيدى ؟

قال له بعصبية :

ـ هل تتغابى ؟ التى أحضرت الخطاب .

قال خادمه وقد آلمه أن يحدثه سيده بهذا الأسلوب الذى لم يعتد أن يحادثه به من قبل :

ـ لكنى لم أسمح لها بالدخول بالفعل .. وأفهمتها أنك لا ترغب فى رؤيتها .

ـ إذن .. كيف تسنى لى أن أراها فى حديقة الفيلا ؟

ـ لا بد أنها اختبأت فى أحد أركان الحديقة بعد أن صرفتها .

ـ أحضر لى كوبًا من الشاى .

تهالك فوق أحد المقاعد قائلاً لنفسه وقد اعتراه إحساس بتأنيب الضمير :

ـ ما هذا الذى فعلته ؟ لقد عاملتها بقسوة شديدة للغاية .. لماذا كنت فظًا معها هكذا ؟

استطرد قائلاً لنفسه وهو يحاول إسكات صوت ضميره :

ـ كان يتعين علىّ أن أتصرف هكذا .. لكى تتوقف عن ملاحقتى على هذا النحو .. وتعرف أنه يتعين عليها أن تختفى من حياتى نهائيًا .

ربما لو تساهلت معها لوجدت فى ذلك وسيلة لتهديدى أو ابتزازى فى المستقبل .

ولكن ذلك الطفل .. هل هو ابنى بالفعل ؟

وهز رأسه محاولاً طرد هذه الفكرة .. قائلاً لنفسه :

ـ كلا .. كلا .. بالتأكيد إنه ليس ابنى .. لابد أنها قد أتت به من مكان ما لمحاولة التأثير علىّ .

لكنها كانت مستعدة لأن تتركه لى كما قالت لكى أتولى رعايته .

وعاد ليقول لنفسه :

ـ من يدرى ؟ ربما أن هذا الطفل يهمها وأرادت أن تحملنى مسئوليته بشكل أو بآخر .

وربما كان ابنًا لها من زوج آخر .. مات أو هجرها كما فعلت ورحل إلى مكان آخر .. فأرادت أن تلقى علىّ بعبء تربية هذا الابن .

كان يعرف فى أعماق نفسه أن هذا الادعاء غير صحيح .. خاصة أنه قدَ عاشر هذه المرأة ويعرفها جيدًا .

يعرف أنها صادقة .. ومخلصة .. ولم تحاول أن تكذب عليه مرة واحدة طوال الأشهر التى عاشها معها .

إلا أنه ارتاح لهذا الادعاء الذى استخدمه لإسكات صوت ضميره .. محاولاً التنصل مما فعله .

وضرب بقبضته على ذراع المقعد قائلاً بعصبية :

ـ لماذا عادت هذه المرأة للظهور فى حياتى مرة أخرى ؟

وفى هذه المرحلة .. التى أستعد فيها للارتباط بفتاة من أسرة شديدة الحرص على المبادئ والتقاليد ؟

أسند رأسه إلى مسند المقعد قائلاً :

ـ أرجو أن ينتهى الأمر عند هذا الحد .. فأنا لا أريد أى تشويش أو تعقيدات فى المرحلة الحالية .

بالنسبة لى سأحاول ألا أفكر فى (ناهد) وابنها .

لكن لو حاولت أن تفرض نفسها علىَّ مرة أخرى .. فسوف يكون لى معها موقف آخر أكثر عنفًا وقسوة .

* * *

ترنحت (ناهد) فى سيرها وهى تبتعد عن الفيلا .. وقد غشت العبرات عينيها .. وضعفت قواها .. وسيطر عليها إحساس بالحزن واليأس الشديدين .

لقد أنهت حلمها .. الحلم الذى أغراها بالحب واسترداد الماضى المفقود .

ذلك الحلم الذى صور لها أن كل الجحود والقسوة التى عاملها بها (عزت) من قبل ستنتهى حينما يلتقيان مرة أخرى .. ويراها أمامه حاملة بين ذراعيها طفله الذى لم يقدر له أن يراه .

ظنت أنه سيضمهما إليه ، وسيعوضهما عن كل المعاناة التى مرت بهما منذ رحيله المفاجئ .

ظنت أنه سيعمل على إنقاذها من مرضها الذى فتك بجسدها .. وأنه حتى لو قدر لها أن تموت من تأثير هذا المرض ، فسوف تموت فى سلام وراحة بين ذراعيه .. وتنعم فى أيامها الأخيرة بحبه ورعايته لها .

أو على الأقل سيرأف بها من أجل ابنهما .. الذى داهمه المرض بدوره لعجزها عن تقديم الرعاية المناسبة له ، بعد أن حاصرها المرض من ناحية .. والفقر من ناحية أخرى .

لكنه لم يرأف بها .. ولا بابنهما .. وكان أقسى مما تصورت .

لقد تلاشى حلمها .. وضاع أملها .. وانتهى كل شىء .

أحست بأن حزنها فى هذه اللحظة قد زاد من معاناتها .. وأثقل على قلبها المريض بأكثر مما تحتمل .

فبدا لها من كل خطوة أخذتها أن ثقل طفلها قد ازداد .. وأنها لم تعد قادرة على حمله .

حاولت أن تقاوم فى سيرها .. لكن جسدها الهزيل ازداد ضعفًا .. وقلبها المريض ازدادت آلامه .. فسقطت على الأرض منهوكة القوى .. فاقدة الوعى ..

بالقرب من إحدى السيارات القديمة .. الواقفة بجوار الرصيف .

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية والنصف ليلاً .. وكان المارة من القلة بحيث ظلت طريحة على الرصيف دون أن يراها أحد .

ومرت بضع دقائق وهى راقدة على الأرض ، وقد انخرط طفلها الذى استيقظ من نومه على إثر سقوطها على الأرض فى بكاء حار .

وما لبث أن اقترب رجل مسن تجاوز الستين من العمر .. من المكان .. حيث لمح الطفل وهو يبكى وأمه بجواره راقدة فى صمت .

فنظر إليهما باستغراب وهو يثبت من وضع المنظار الطبى فوق عينيه ليتأكد من حقيقة ما يراه .. قائلاً :

ـ ما هذا ؟ من أين أتى هذا الطفل فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ ولماذا يبكى هكذا ؟

ومن هى تلك المرأة الراقدة بجواره ؟ لابد أنها أمه ؟ أتكون قد فقدت الوعى ؟

تأثر الرجل لرؤية هذا المشهد .

فجثا على إحدى ركبتيه بجوارهما ، محاولاً تهدئة الطفل .. ومنعه من البكاء .. قائلاً :

ـ ماذا بك يا حبيبى ؟

قال له الطفل ببراءة :

ـ أمى .. أمى ...

سأله قائلاً :

ـ ماذا حدث لأمك ؟

قال له الطفل :

ـ لا أدرى .. لقد استيقظت فوجدتها هكذا .. لقد تركتنى أقع على الأرض .. وأنا أشعر بألم فى رأسى ..

قال له مطمئنًا :

ـ لا تخف .. سأجعلها تستيقظ فى الحال .

وتناول رأسها بحنو وهو ينظر إلى وجهها ، محاولاً تبين الأمر فرأى وجهها باهتًا .. لكنه ساكن هادئ .. كما لو كان سكون الموت .

أمسك بمعصمها ليتبين نبضها .. فتكشفت له الحقيقة الأليمة .. لقد كانت ميتة ..

* * *



١١ ـ حنان .. وحرمان ..

ظل الرجل لبرهة من الوقت صامتًا .. وقد انعقد لسانه واضطربت ملامحه .

ثم ما لبث أن أخذ يتمتم ببعض الآيات القرآنية .. قائلاً :

ـ « إنا للّه .. وإنا إليه راجعون » .

قال له الطفل ببراءة :

ـ لماذا لم تستيقظ أمى من نومها ؟

ضمه الرجل إليه وقد تملكه إحساس جارف بالشفقة والأسى من أجل هذا الطفل الصغير .. الذى لايعرف ما الذى آل إليه مصير أمه .

وتلفت حوله وهو يصيح طالبًا مساعدته .. لمواجهة هذا الموقف الأليم .

وما لبث أن هرع إليه شخصين وهما يتساءلان

عما حدث ، ثم لحق بهما أحد رجال الشرطة الذى كان يجول فى المنطقة فى هذه الساعة المتأخرة من الليل .

حيث أخبره الرجل بوفاة الأم .. وعثوره عليها هى وطفلها بعد أن فارقت الحياة .

وما لبث أن استدعى الشرطى سيارتى الشرطة والإسعاف ، لنقل المرأة المتوفاة .. واصطحاب الرجل والطفل إلى القسم ، وتناول الرجل الطفل ليضمه إلى صدره وهو يصحبه معه إلى قسم الشرطة .

وأجرى تحقيق مع الرجل بشأن الواقعة بعد أن قام أحد الأطباء بفحص المرأة المتوفاة .. وتبين من التشخيص الطبى أنها كانت مريضة بالقلب .. وأنها أصيبت بذبحة صدرية أنهت حياتها .

وبعد أن انتهى التحقيق سأل الرجل الضابط الذى تولى التحقيق معه قائلاً :

ـ ماذا سيكون مصير الطفل ؟

أجابه قائلاً :

ـ سيودع إحدى دور الرعاية .. حتى يتبين إذا ما كان له أقارب .

سأله الرجل قائلاً :

ـ ألا يمكن أن أتولى أمر رعايته بنفسى ؟

قال له الضابط :

ـ كلا .. إن هذا يخالف اللوائح والتعليمات المعمول بها .

قال له الرجل وفى صوته رنة رجاء :

ـ إننى أستطيع كفالة الطفل بشكل جيد .. وسأوفر له العناية اللازمة .

سأله الضابط قائلاً :

ـ ولماذا تحمل نفسك هذا العبء ؟ هناك جهات مسئولة عن ذلك .

قال له الرجل :

ـ لقد أحببته .

ابتسم الضابط قائلاً :

- بل إنك تشعر بالشفقة نحوه لأنك رأيته فى هذه الظروف المؤلمة .. إننى أقدر مشاعرك .. لكن تأكد أن تلك الدور المخصصة لرعاية الأطفال تقوم بواجبها على الوجه الأمثل ، تجاه الأطفال الذين يتعرضون لهذه الظروف .

قال الرجل بإصرار :

- كلا .. ليس الأمر مجرد شفقة وحزن من أجل الطفل فقط . بل إننى أشعر بأننى قد أصبحت شديد التعلق به بالفعل .

وأرغب فى كفالته حتى تتضح الأمور بالنسبة له .

صمت الضابط برهة .. ثم قال :

- على أية حال .. هذا ليس من سلطتى .

يمكنك أن تقدم طلبًا لمأمور القسم .. للنظر فى هذا الشأن .

سأله الرجل بلهفة قائلاً :

- أتعتقد أنه سيوافق ؟

- من الممكن .. بعد إجراء بعض التحريات وأخذ التعهدات اللازمة من جانبك ، بشأن تسليم الطفل فى حالة ظهور أقارب له .. وتسجيل اسمه فى إحدى دور الرعاية .

لكن هذه الإجراءات يصعب تنفيذها أحيانًا .

قال له الرجل العجوز :

- إننى مستعد لتنفيذ أى تعهدات أو إجراءات ترغبونها .

- حسن .. اكتب طلبًا بذلك وقدمه إلى مأمور القسم .

وفى اليوم التالى حضر أحد الأشخاص إلى قسم الشرطة ، حاملاً معه إحدى الجرائد ، ليتحدث إلى الضابط الذى أجرى التحقيق قائلاً :

- لقد اطلعت على هذه الصورة فى الجريدة .. والتى تشير إلى وفاة امرأة مجهولة الهوية .. وعلمت أن بعض الإجراءات القانونية التى اتخذت بشأنها قد تمت هنا .

سأله الضابط قائلاً :

- هل تعرفها ؟

أجابه الشاب قائلاً :

- إنها تشبه إحدى قريباتى .

سأله الضابط قائلاً :

- وما هى صلة القرابة ؟

أجابه الشاب :

- قرابة من بعيد .. لكنى لست واثقًا تمامًا أنها هى .

- هل يمكنك تعرفها لو رأيتها ؟

قال له الشاب متعلثمًا :

- نعم .. أظ.. أظن ذلك .

اصطحبه أحد مساعدى الشرطة إلى الثلاجة المخصصة لحفظ الجثث .. لكى يطلع على وجه المرأة الميتة .

وما إن وقعت عيناه عليها حتى أخذ ينعم النظر طويلاً فى الجثة الساكنة .. وهو يجاهد فى إخفاء انفعالاته النفسية .

فقد كانت يداه ترتجفان .. وقلبه يخفق بالألم .. وقد اختنقت عيناه بالعبرات التى قاوم حتى لا تنحدر على وجنتيه .

وسأله مساعد الشرطة قائلاً :

- هل تعرفتها ؟

قال له بصوت مبحوح :

- كلا .

عاد مساعد الشرطة ليسأله :

- أليست هى قريبتك ؟

قال له وصدره يجيش بالحزن :

- ليست هى .. إنها قريبة الشبه بها فقط .

قال له مساعد الشرطة :

ـ حسن يتعين عليك أن تعود معى إلى القسم إذن .. لتقرر ذلك أمام الضابط المختص .

وخلال طريق العودة حاول الشاب أن يعرف من الشرطى ظروف الحادث .. وما انتهى إليه مصير الطفل بطريق غير مباشر .. خاصة أنه كان نفس الشرطى الذى استدعاه الرجل العجوز للاطلاع على الجثة .

وسرعان ما تمكن من كسب ثقته ، ومعرفة بعض الأمور المتعلقة بالطفل ، ورغبة ذلك الرجل الطيب فى كفالته . وعندما عاد إلى القسم سأله الضابط عما إذا كان قد تعرف الجثة فأجابه بالنفى .

فعاد يكرر عليه قائلاً :

ـ هل أنت متأكد من ذلك ؟

أجابه :

ـ نعم .

ـ ولماذا ادعيت فى البداية أنها قريبتك ؟

ـ أنا لم أدع أنها قريبتى .. لقد قلت إنها تشبهها فقط .. وعندما اطلعت على الجثة تبين لى أنها ليست هى .

ـ على أية حال .. لابد من استكمال إجراءات التحقيق .. ما اسمك بالكامل ؟

أجابه قائلاً :

ـ (إبراهيم عبد العليم العطيفى) .

سأله قائلاً :

ـ أين تعمل ؟

ـ أجابه :

ـ موظف بشركة الشحن والتجارة العالمية .. التى يمتلكها (عزت بك الوسيمى) .

ـ وما هو عنوانك ؟

* * *

اصطحب الرجل العجوز الطفل الصغير إلى منزله البسيط فى أحد أحياء الإسكندرية المتواضعة .

وبرغم أن الشقة كانت بسيطة فى مظهرها .. إلا أنها كانت ذات رفاهية بالنسبة للطفل الصغير الذى عاش حياة بائسة مع أمه المريضة قبل وفاتها .

دخل الرجل إلى المطبخ ليعد وجبة من الطعام له وللطفل الذى لحق به ، قائلاً :

- هل ماتت أمى حقًا ؟

التفت إليه الرجل بعطف قائلاً :

- كلا .. لماذا تقول ذلك ؟

قال له الطفل ببراءة :

- لقد سمعت الشرطى يقول ذلك .

مسح الرجل بيده على شعر الصغير قائلاً :

- كلا .. لقد كنا نظن ذلك .. لكننا تبينا أنها مريضة فقط .

سأله الطفل باهتمام قائلاً :

- إذن .. أين هى ؟

أجابه الرجل :

- لقد دخلت المستشفى .
- ومتى تغادرها ؟
- عندما تشفى من مرضها .
- ومتى تشفى من مرضها ؟
- لا أدرى .. لكن ذلك سيستغرق بعض الوقت .. وربما يستغرق وقتًا طويلاً .. لذلك ستبقى معى هنا .. حتى يتم شفاؤها .
- ألن أتمكن من رؤيتها فى المستشفى ؟
- نعم .
- لماذا ؟
- لأنها سافرت للعلاج فى مستشفى بالخارج .. ولا يمكنك أن تسافر إليها .

صمت الطفل وقد اعترت ملامحه مسحة من الحزن حركت مشاعر الرجل فأجلسه فوق المائدة الصغيرة

الموجودة فى المطبخ .. وجلس على مقعد أمامه وهو يسأله قائلاً :

ـ هل أنت حزين لأن ماما سافرت إلى الخارج ؟

قال له الصغير ببراءة :

ـ كلا .. مادام هذا السفر سيشفيها فلن أكون حزينًا لذلك .. لقد كانت مريضة دائمًا .. وأنا أريد لها أن تشفى من مرضها .

لكنها أوحشتنى كثيرًا .

قبله الرجل بحنان قائلاً :

ـ سأعد لك وجبة رائعة من الطعام .

ـ ليتك تسرع بذلك .. فأنا أشعر بالجوع .

ابتسم الرجل وهو ينهض لاستئناف إعداد الطعام قائلاً :

ـ حالاً .. ولكن قل لى أولاً .. هل تحسنت حالة معدتك ؟

أجابه الطفل قائلاً :

ـ نعم .

هل رأيت أننى كنت محقًا فى اصطحابك للطبيب .. برغم أنك كنت تبكى رافضًا ذلك ؟

تطلع إليه الصغير بحب قائلاً :

ـ أنت طيب جدًا .

التفت إليه الرجل مبتسمًا وهو يقول :

ـ لكنك لم تذكر لى اسمك بالكامل .

أجابه الطفل :

ـ اسمى (ياسر عزت) .

ـ هل والدك اسمه (عزت) ؟

ـ نعم .

ـ وما بقية الاسم ؟

ـ لا أذكر .. لقد أخبرتنى أمى فقط أن اسمى هو (ياسر عزت) .

نظر إليه الرجل باستغراب قائلاً :

ـ أخبرتك .. ألم تر أباك ؟

أجابه ببراءة :

ـ نعم .. لقد سافر قبل أن أراه .

ـ سافر .. إلى أين ؟

ـ لا أدرى .. لقد أخبرتنى أمى فقط أنه سافر قبل أن أولد .. وأنه سوف يعود يومًا ما .

وتساءل الرجل عما إذا كانت الأم قد كذبت على الصغير ، نفس الكذبة التى كذبها عليه .. وادعت سفر الأب .. بينما هو فى الحقيقة قد سبقها إلى الموت .

وارتسمت ملامح الأسى على وجهه قائلاً لنفسه :

ـ يا للطفل المسكين !

سأله الطفل قائلاً :

ـ وأنت .. ما اسمك ؟

رسم الرجل ابتسامة على وجهه ليخفى بها ملامح الأسى التى ظللته منذ لحظة ، قائلاً :

ـ اسمى (حسين) .. (حسين عبد العظيم) .. وأريد منك منذ هذه اللحظة أن تنادينى باسم بابا (حسين) .

ارتسمت ملامح السرور على وجه الطفل وهو يقول له .

ـ حقًّا .. هل يمكننى أن أقول لك (بابا) ؟

ـ طبعًا .. إننى أريد منك أن تنادينى بذلك .

ـ إننى لم أقل هذه الكلمة لأحد من قبل .

نظر إليه الرجل بإشفاق يمتزج بالأسى .. وقد تذكر أنه هو الآخر قد حرم من هذه الكلمة منذ سنوات طويلة .

إن أحدًا لا يعرف أن سر تمسكه بهذا الطفل الصغير بالذات ، هو أنه يشبه إلى حد كبير ابنه الذى توفى منذ عشرين عامًا فى حادثة سيارة وهو بصحبة أمه .

لقد حرم من أبوته مبكرًا .. لكن صورته لم تفارق وجدانه طوال العشرين عامًا الماضية .. وقد رأى هذه الصورة مرة أخرى فى وجه هذا الطفل اليتيم ..

وكأن القدر قد أعاد إليه ابنه الذى مات فى صورة هذا الصغير .

قال الرجل وهو ينظر إلى عينى الطفل طويلاً :

ـ تستطيع أن تقولها لى الآن .

وقام بحمل أطباق الطعام ليضعها على المائدة .. قائلاً :

ـ هيا .. يا أستاذ (ياسر) .. لتجلس إلى المائدة استعدادًا لتناول الطعام الشهى الذى أعددته لك .

سأله الصغير قائلاً :

ـ هل يمكننى أن أحمل معك الأطباق ؟

أشار إلى أحد الأطباق الصغيرة قائلاً :

ـ فقط هذا الطبق الصغير .

قام الطفل بحمل الطبق إلى المائدة .. ثم وقف بجوارها يحدق فى الرجل العجوز الطيب .

فنظر إليه الرجل قائلاً :

ـ لماذا لم تجلس على مقعدك ؟ ولِمَ تحدق فى هكذا ؟

قال له الطفل ببراءة وصدق :

ـ إننى أحبك كثيرًا يا بابا (حسين) .

وضع الرجل ما فى يده ، وجثا على ركبتيه أمام الطفل وهو يحتضنه بحنان ، مطلقًا العنان لعواطف جياشة تعتمل فى صدره وهو يقول :

ـ وأنا أيضًا أحبك كثيرًا يا بنى .

★ ★ ★



١٢ ـ لقاء قدرى ..

انتقلت (سماح) وأمها إلى الفيلا المطلةِ على البحر فى قرية (مراقيا) ، التى أصبحت مصيفًا لأصحاب المال والأثرياء .

وذلك مع البدايات الأولى لأشهر الصيف .

كانت الفيلا التى تمتلكها (سماح) وأمها مصممة على طراز أنيق ومتميز ، وهى تطل على البحر مباشرة .. وتحيط بها حديقة جميلة وصغيرة .

كانت المسافة متباعدة بينها وبين الفيلات المجاورة ..

حيث صممت هذه المنطقة بحيث تسمح بأكبر قدر من الراحة والاستجمام لأصحاب هذه الفيلات .

لكن ما لبث أن بدأ أصحاب الأرض بعد فترة من الزمن فى بناء عدد من الشاليهات الصغيرة فى تلك المساحات المتسعة .. وتأجيرها أو بيعها لعددِ من

المصطافين الذين لا تسمح لهم قدراتهم بشراء فيلات أنيقة وباهظة الثمن .

وذلك رغبة من أصحاب الأراضى فى الحصول على أكبر قدر من الكسب ، واستغلال هذه الأراضى دون مراعاة الطابع الخاص الذى كانت تتميز به هذه المنطقة ، مما أثار احتجاج أصحاب هذه الفيلات .. وتقديم عدد من الشكاوى دون جدوى .

ومن بين هذه الشاليهات .. كان يوجد شاليه صغير وغير مأهول منذ ثلاثة أعوام تقريبًا .. على مسافة مائتى متر فقط من الفيلا التى تقيم بها (سماح) .

كانت أخشاب الشاليه الخشبى قد تآكلت .. واستغله بعض المصطافين .. وسكان المنطقة فى إلقاء مخلفاتهم ، التى أحاطت به وما حوله من كل جانب .. حتى أصبح مأوى للحشرات .. ومصدر تلويث للمنطقة ، أما من الداخل فقد صارَ مسرحًا لأنسجة العنكبوت والغبار ، وكان هذا الشاليه مصدرًا لإزعاج والدة

(سماح) خلال الأعوام الأخيرة .. كلما جاءت للاصطياف فى فيلتها .

حتى إنها فكرت فى شرائه .. واستغلاله بشكل أمثل .. بدلاً من أن يكون مصدرًا للتلوث .. وتشويه المكان على هذا النحو .

لكن صاحبه رفض بيعه بكل الوسائل .. وحتى عندما توقف عن التردد عليه بصورة منتظمة فى الصيف كما كان يفعل من قبل . فإن محاولتها للحصول على هذا الشاليه عن طريق أحد الوسطاء لم تفلح فى إثنائه عن الرفض .

لكن الأمر كان مختلفًا هذه المرة .. فقد لفت انتباههم وهما يسيران على الشاطئ فى اليوم التالى لوصولهما إلى (مراقيا) .. أن مظهر الشاليه قد اختلف .

فقد اختفت أكوام الزبالة والمخلفات .. كما اختفت الحشرات المزعجة التى كانت تحوم حول المكان .. وأعيد طلاء الشاليه من جديد .

أشارت الأم إلى الشاليه وقد ارتسمت ملامح السرور على وجهها لدى رؤيتها لهذا التبديل الذى طرأ على الشاليه ، قائلة لابنتها :

- هل ترين ؟ لقد تغيرت ملامح هذا الشاليه تمامًا .

قالت (سماح) وهى تنظر للشاليه بدهشة :

- نعم .. لقد أعيد تجديده .. وأصبح فى صورة جيدة .

- يبدو أن صاحبه قد قرر الإقامة به هذا العام ، بعد انقطاعه عن ذلك طوال السنوات الثلاث الماضية مما جعله يعمل على تجديده مرة أخرى .

- أو ربما أجره لشخص ما .. أو باعه له .

- لا أظن .. فقد بذلت معه محاولات كثيرة من قبل لبيعه لى دون جدوى .

- على أية حال .. إننى لا أرى ما يدل على وجود شخص ما بالشاليه .

- من يدرى ؟ ربما لم يحضر بعد إلى (مراقيا) .. أو ذهب لقضاء بعض حوائجه من سوق المدينة .

ـ على أية حال .. أظن أن الصورة التى أصبح عليها الشاليه ترضيك الآن .

ـ إنها لا ترضينى كثيرًا .

ـ لماذا ؟ هل لأنك كنت ترغبين فى امتلاك الشاليه وعجزت عن شرائه ؟

ـ بل لأننى لست راضية عن وجود هذه الشاليهات الخشبية المتواضعة بين الفيلات الأنيقة المقامة هنا .

لقد اشترينا هذه الفيلا على أساس أن هذه منطقة راقية ومتميزة . دون أن نعرف أنهم سيسمحون للطفيليين والمتطفلين بالتسلل إليها تدريجيًا .

ابتسمت (سماح) قائلة :

ـ يا أمى الحبيبة دعك من هذه العنصرية الطبقية .. فهذا الشاطئ .. والبحر الممتد أمامك .. والرمال ملك للجميع .. ومن حق الجميع أن ينعموا بها .

نظرت إليها الأم قائلة باستنكار :

ـ العنصرية الطبقية ؟! ما هذه الألفاظ التى تستخدمينها ضد أمك ؟ يبدو أن استغراقك الشديد فى تلك القراءات قد أثر على أفكارك !

وفى اليوم التالى تأهبت (سماح) لمغادرة الفيلا ، والذهاب إلى الشاطئ بعد أن انتهت من تناول فطورها .

فنادت أمها قائلة :

ـ هيا بنا نذهب إلى الشاطئ .

لكن الأم اعتذرت قائلة :

ـ كلا .. لن أستطيع أن أذهب معك اليوم .. سأكتفى بالجلوس فى الشرفة والتطلع إلى البحر من هنا ، فإننى أشعر ببعض التوعك اليوم .

ـ إذن .. سأبقى معك .

قالت الأم معترضة :

ـ لاداعى لذلك .. يمكنك أن تجولى على الشاطئ بمفردك أو تذهبى لمقابلة إحدى صديقاتك .. بينما أنتظرك هنا .. ولكن لاتتأخرى علىّ كثيرًا .

ـ حسن يا أمى .. سأذهب لأرى إذا ما كانت (ميرفت) قد حضرت مع أسرتها فى الفيلا المجاورة أم لا .. ولو أنى أظن أنها لن تحضر قبل أسبوع على الأقل ..

ـ أتمنى أن تكون قد حضرت حتى لا تشعرى بالملل وأنت بمفردك هنا .

سارت (سماح) بجوار الشاطئ فى طريقها إلى الفيلا التى تقطنها أسرة (ميرفت) ، والتى تبعد عن فيلتهم بمسافة كبيرة إلى حد ما .

كان الجو صحوًا وهبات النسيم القادمة من البحر عليلة مما بعث بالانتعاش فى نفس (سماح) .

وسرعان ما استدعى انتباهها ذلك الشاليه مرة أخرى ، فتملكها الفضول للتطلع إليه عن قرب ..

خاصة بعد حالة التجديد التى طرأت عليه مما جعلها تعرج من الشاطئ إليه .

حيث توقفت أمامه للحظة .. ثم أخذت تدور حوله ببطء وهى تتأمله .

لم تكن تدرى سر انجذابها لهذا الشاليه .

ربما لأنها كانت دائمًا متواضعة فى أحلامها برغم ثرائها الكبير .

وتميل أكثر إلى البساطة .. بعكس غيرها من الفتيات .

إن أحد أحلامها وهى صغيرة كانت امتلاك شاليه بسيط كهذا ، برغم أنها تقيم فى فيلا أنيقة .. تتوافر بها كل أسباب الرفاهية .

لكن يبدو أن قراءاتها العديدة بالفعل وانعزاليتها ، وما رأته من تكلف البعض من حولها من الأقارب والأصدقاء .. جعلها تكره هذا التكلف .. وتعشق

البساطة والطبيعة الجميلة على فطرتها التى خلقها عليها الله .

وبينما هى تدور حول الشاليه .. وتتأمله .. رأت شخصًا يبرز أمامها فجأة من وراء أحد جدرانه .

تراجعت إلى الوراء .. من أثر المفاجأة .. فى حين ظل ذلك الشخص واقفًا فى مكانه ينظر إليها .

كانت المفاجأة الأكبر بالنسبة لها أن هذا الشخص كان هو نفسه ذلك الشاب الذى رأته فى النادى يحدق بها ، وقد بدا وقتها أنه يرسمها .

إنه نفس الشاب الذى أصاب مشاعرها بالارتباك ، وجعل قلبها يخفق بشدة ، دون أن تدرى سبب خفقاته على هذا النحو .

اكتسى وجهها باحمرار شديد لدى رؤيته ، وقد أحست بالاضطراب . ولم يكن هو ليقل حالاً عنها .

كان يرتدى فانلة رياضية ، وشورتًا قصيرًا ويضع على رأسه قبعة من الخوص لتقيه من الشمس .

وما لبث أن تغلب على اضطرابه ليتحدث إليها قائلاً :

ـ آسف .. إذا كنت قد جلبت إليك الفزع .

اصطبغت وجنتاها بالاحمرار .. وبدا لها مظهره وكلماته مختلفة .. عما عهدته فى غيره من الرجال والأشخاص الذين عرفتهم ، فقد كان مظهره بسيطًا .. وصوته رزينًا .. ويجمع بين الرقة والقوة فى آن واحد .

قالت له وهى تحاول أن تتمالك نفسها أيضًا :

ـ لم يحدث شىء .. ولكن فى الحقيقة لم أكن أتوقع رؤية أحد هنا الآن .. خاصة أن الشاليه كان يبدو مهجورًا .

ساد الصمت العميق بينهما .. وخامرها هاجس بأنها قد ترتبك لو تابعت الحديث معه .

لكن إحساسًا غريبًا سيطر عليها فى هذه اللحظة .. إحساسًا بالدهشة والحيرة إزاء تصرفات القدر .

فقد التقت فى هذا المكان الذى أثار فضولها وانجذابها دومًا .. بذات الشاب الذى أثار فيها نفس المشاعر حينما وقعت عليه عيناها .. فى ذلك اللقاء الوحيد الصامت الذى لم يستغرق سوى لحظات قليلة بينهما ..

وتساءلت عما إذا كان هذا اللقاء قد جاء مصادفة .. ولن يزيد عن كونه لقاءً عابرًا .

أم أنه تدبير قدرى ، يخفى وراءه أحداثًا أخرى فى المستقبل ؟

[تم الجزء الأول بحمد الله]

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

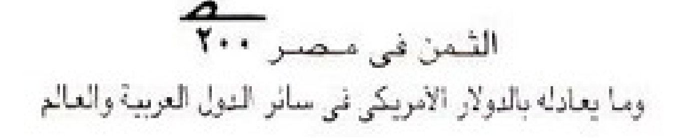


ا. شريف شوقى

حب وحرمان

(سماح) فتاة ثرية .. تمتلك كل شئ إلا الحب وحقها إختيار مشاعرها .. وشريك حياتها : بينما عاشت (ناهد) حياة قاسية لم تعرف خلالها السعادة والحب ، إلا فترة قصيرة من الزمن ثم انقلبت عليها بقسوة أشد ، ترى .. ما الذى ينطوى عليه هذا الصراع بين الحب والحرمان ؟





الثمن فى مصر ٢٠٠ ص

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

